

# المستعمرات الألمانية في فلسطين

للدكتور علي سحاظنة

( الجامعة الأردنية )

الغاية من هذا البحث دراسة المستعمرات الألمانية في فلسطين منذ تأسيس اولها عام ١٨٦٨ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ . وتعالج هذه الدراسة الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراء انشاء هذه المستعمرات ، ومدى صلتها بالمخططات السياسية الألمانية في الدولة العثمانية . كما انها تتناول طبيعة العلاقات بين المستعمرين الالمان والسكان العرب، من جهة ، وبينهم وبين المستعمرين اليهود من جهة اخرى . وتستعرض ايضا موقف السلطات الرسمية العثمانية من هذه المستعمرات .

## مشاريع استعمار فلسطين في النصف الاول من القرن التاسع عشر :

فتحت حملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨-١٨٠١) باب الصراع الدولي في الشرق العربي على مصراعيه . واطلقت العنان لمخططي السياسة الاستعمارية في أوروبا ، فقدموا مشروعات عديدة ترمي الى تجزئة الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ، في وقت بلغ الجشع الاستعماري ، مع انتشار الثورة الصناعية ، اوجهه . وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافي والاستراتيجي واهميتها الدينية هدفا لمخططي هذه

السياسة . فمنذ عام ١٨٠٠ نشر الكاتب البريطاني جيمز بيتشينو  
James Bicheno كتابا بعنوان **The Restauration of Jews,**  
دعا فيه الى تجميع يهود العالم **the crisis of All Nations**  
في فلسطين ، تحقيقا للنبوءات التوراتية ، وسعيا الى حل الازمات التي  
تجتاح الدول المسيحية والدولة العثمانية . وعلق بيتشينو آمالا واسعة على  
فرنسا النابليونية لتحقيق هذا المشروع . غير ان مبادرة نابليون بجمع  
« مجلس اعلى » لليهود لاستغلاله كأداة سياسية ، منيت بالفشل . ولذلك  
اتجهت الأنظار الى الدول البروتستانتية ( بريطانيا وبروسيا ) لتحقيق هذا  
المشروع . ولقيت آراء بيتشينو صدى واسعا في بريطانيا ، واعيدت طباعة  
كتابه السابق الذكر عام ١٨٠٧ (١) .

وقد اعجب بالفكرة اللورد آشلي **Lord Ashley** الذي اخذ يدعو  
لها منذ خريف عام ١٨٢٨ . وفي رايه ان جمع اليهود على ارض فلسطين  
سيكون خطوة أولى نحو تنصيرهم ، كما ان استعمار فلسطين ضرورة  
للاقتصاد البريطاني الذي شهد آنذاك ازدهارا وتوسعا نتيجة للثورة  
الصناعية . وبضغط من آشلي قبل قريبيه اللورد بالمرستون  
**Lord Palmerston** رعاية عودة اليهود الى فلسطين، وحماية  
الحكومة البريطانية للمقيمين منهم في الدولة العثمانية . وكان للكتاب الذي  
الفيه اللورد ليندسي **Lord Lindsay** وصدر عام ١٨٢٨ بعنوان  
"Letters on Egypt, Edom and the Holy Land" \* رسائل عن  
مصر وايدوم والارض المقدسة والذي تضمن تحبيذه لفكرة جمع اليهود في  
فلسطين ، صدى واسع في نفس اللورد آشلي . فقام الأخير بجمع الاموال  
لتنفيذ مشروع جمع اليهود على ارض فلسطين (٢) .

اثار المشروع اهتمام الحكومة البريطانية والصحافة اللندنية .

فقد تناولت صحيفة التايمز Times في عددها الصادر في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٣٩ الافكار الرئيسية التي نادى بها آثلي وايدت « حق الشعب اليهودي في العودة الى فلسطين » . وربطت المسألة اليهودية بالازمة السياسية القائمة بين محمد علي باشا والسultan العثماني (٣) . اما وزارة الخارجية البريطانية فقد اصدرت في ٣١ كانون الثاني ١٨٣٩ تعليماتها الى W. T. Young نائب القنصل المعين حديثا (١٨٣٨/٩/١٩) في القدس لبسط حمايته على كافة اليهود المقيمين في فلسطين (٤) .

ونشأت في الوقت نفسه حركة بين اليهود في بريطانيا تدعو الى استعمار فلسطين . ففي ربيع عام ١٨٣٨ زار موسى مونتفيوري ( Moses Montefiore ) (٥) الثري والمحسن اليهودي، فلسطين ، وعرج على مصر لمفاوضة محمد علي باشا في مشروع يرمي الى تاجير منطقة الجليل (نحو ٢٠٠ قرية) له لمدة خمسين سنة ، وان يدفع له مقابل ذلك اجرا سنويا . وكان في نية مونتفيوري ان ينشئ شركة استعمارية في بريطانيا ، في حالة موافقة محمد علي باشا على مشروعه ، من اجل تشجيع يهود أوروبا على الهجرة الى فلسطين . غير ان مباحثات مونتفيوري مع محمد علي باءت بالفشل، عندما اكد والي مصر انه لا يستطيع التصرف بأرض لا يملكها . واستمر مونتفيوري في نشاطه دون جدوى ؛ وزار فلسطين سبع مرات بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٧٥ (٦) . كان مشروع مونتفيوري هذا مقدمة للمشروع الصهيوني الذي مر بمراحل عدة طوال القرن التاسع عشر .

وبعد جلاء قوات محمد علي عن بلاد الشام، اقترح هلموت فون مولتكه ( Helmuth Von Moltke ) الكابتن في الحرس الملكي البروسي، الذي عمل بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٣٩ في اعادة تنظيم الجيش العثماني (٧)، مشروعا آخر لاستعمار فلسطين . وورد هذا المشروع في مذكرات فون

مولتكه التي نشرها في صحيفة ( Augusburger Allgemeine Zeitung ) عام ١٨٤١ تحت عنوان : « المانيا وفلسطين Deutschland und Palaestina » . وقد شرح الضابط الألماني مشروعَه هذا بتفاصيل دقيقة اثار اهتمام الرأي العام الألماني والأوروبي . وينص المشروع على انشاء « ملكة القدس » لتجعل من فلسطين مركزا متقدما للحضارة الأوروبية ، وانموذجا للتطور الاقتصادي في الشرق ، ودولة واقية بين مصر وسورية في حالة قيام مملكة وراثية في مصر ، تحول دون أي اعتداء على الدولة العثمانية ، وجسرا يربط أوروبا بالقارة الهندية . ويرى مولتكه أن قيام هذه المملكة سيكون بعنا للنقل والقيم الصليبية، ونصرا معنويا عظيما تحققه المسيحية في العالم . واقترح أن يكون على رأس هذه الدولة أمير الماني يتمتع بسلطة مطلقة، ويتصف بروح متسامحة . فهو يرى أن اعتلاء أمير الماني لعرش مملكة القدس، سوف يبعد فلسطين عن تأثير المنافسات السياسية القائمة آنذاك بين الدول البحرية الأوروبية . كما أن تمتعه بسلطة مطلقة سيساعد في فرض النظام على بلد متخلف « لم يبلغ سكانه بعد مستوى حضارة اليونان، الذي تؤهله للمطالبة بالحكم الذاتي » (٨) . هذا وتحمس لمشروع مولتكه ملك بروسيا، فريدريش فيلهلم الرابع ( Friedrich Wilhelm IV ) وتبناه، فعرضه على ملوك أوروبا فلم يقبلوا به (٩) .

وبقيت فكرة استعمار فلسطين تشغل بال العديد من رجال الدين والسياسة والاقتصاد في أوروبا ؛ غير أننا سنقتصر على هذه المشروعات التي كانت تمهدا للمشروع الاستعماري الألماني، الذي بدأ تنفيذه في نهاية الستينات من القرن التاسع عشر .

## جمعية الهيكل الالمانية واستعمار فلسطين

تعود جمعية الهيكل الالمانية ( Deutsche Tempelgesellschaft ) في اصولها الى حركة الاتقياء Pietismus التي ظهرت في المانيا في القرن السابع عشر ، كحركة دينية اصلاحية في الكنيسة الانجيلية، اكدت على دراسة الكتاب المقدس، وعلى الخبرة الدينية الشخصية . واستمرت هذه الحركة الدينية حتى مطلع القرن التاسع عشر، وتركزت حول تيوزومـن بينجل Theosophen Bengel ، الذي بشر بقيام مملكة الرب وعودة المسيح الى الارض في اعقاب كوارث مريعة تنجم عن الابتعاد عن الروح المسيحية . ودعا بينجل كلّ تقي ان يبحث له عن مكان في الشرق، لقرب قيام مملكة الرب هناك . وراى بينجل واتباعه في نابليون بونابرت الشيطان المناهض للمسيح . ومع نهاية نابليون، اعتقد بينجل ان لا بد من مرور بعض الوقت حتى تتم التفريغ الكبرى . وتوقع ان تتم عودة المسيح عام ١٨٣٦ .

وفي عام ١٨١٧ احلّت مجاعة بمملكة فورتمبرغ Wurttemberg، فانتهز بينجل هذه الحالة كدعا اتباعه الى الهجرة الى الشرق . فهاجر آلاف الفلاحين من هذه المملكة الى جنوب روسيا، حيث رحب بهم القيصر اسكندر الاول . واعتقد كثيرون منهم ان ترحيب القيصر الروسي نداء الهي لا بد من تلبيته . وتمت هجرة هؤلاء الالمان تحت اشراف البارون غون بيركهايم Von Berkheim . وسمح لهم القيصر بادارة شؤونهم ادارة ذاتية .

اما مملكة فورتمبرغ فقد رأت في هجرة مواطنيها خطرا يتهددها، لذلك لجأت الى مختلف الوسائل للحيلولة دون هجرتهم . وتقدم النائب العام في المملكة باقتراح على حكومته ينص على السماح لهؤلاء المتدينين بتشكيل جمعيات خاصة بهم، تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي . قبلت حكومة فورتمبرغ هذا الاقتراح، وتشكلت اول جمعية دينية في فورتمبرغ على يد

غوتليب هوفمان G. M. Hoffmann ، رئيس بلدية ليونبرغ Leonberg في تشرين الأول عام ١٨١٨ . وفي صيف عام ١٨١٩ بدأ أعضاء الجمعية الجديدة بالاستيطان في قرية من أملاك الفارس كورنتال Kornthal ، قرب مدينة شتوتجارت Stuttgart ، وبنوا منازل لهم عليها مع دار للاجتماعات العامة (١٠) .

في كورنتال ترعرع ابنا غوتليب هوفمان : فيلهلم ( الأكبر ) وكريستوف ، وتربيا تربية دينية ؛ فحصل الاول على منصب ديني رفيع في بلاط ملك بروسيا، وهو منصب قسيس البلاط Hof prediger ، بينما ورث الثاني، الذي يصغره بتسع سنوات ، اياه في رئاسة الجمعية الدينية (١١) . درس كريستوف الفلسفة والتاريخ في جامعة توبنجن . Tuebingen . واشتغل في التعليم . ولما اشتد ساعد الحركة العلمانية المناهضة للمسيحية في ألمانيا في الأربعينات من القرن التاسع عشر ، برزت هذه الجمعية الدينية للدفاع عن المسيحية، معتبرة المبادئ المسيحية الأسس التي ينبغي ان يقوم عليها الإصلاح الاجتماعي في ألمانيا . وتولى كريستوف مهمة الدفاع عن هذا الاتجاه الديني . وأصدر في أيار عام ١٨٤٥ ، بالتعاون مع صديقه عمانويل باولوس Immanuel Paulus ، الصحيفة الأسبوعية Die Sueddeutsche Warte للتعبير عن هذا الاتجاه المسيحي الإصلاح (١٢) .

وجاءت أحداث عام ١٨٤٨ الثورية في ألمانيا، فأدخلت الرعب في قلب كريستوف هوفمان . وتأكد له من أحداث ذلك العام الرهيبة ان « مسيحية الكنيسة مقتصرة على الوعظ الديني المجرد من الحياة ، ، وأنها قائمة على قوة العادة ، وعاجزة عن وقف التفكك والانحلال » . ووجد ان « المسيحية قد تخلت عن مهمتها الأساسية الروحية، وغاصت في أحوال

الملاية، وتمسكت بالقشور الخارجية . ورشح نفسه في ذلك العام عن مدينة لودفيجزبورغ Ludwigsburg في الانتخابات العامة للبرلمان الاتحادي الألماني « البندستاغ Bundestag »، الذي كان مقره مدينة فرانكفورت على الماين . وكان على مملكة فورتمبرغ أن تقدم ٢٨ نائبا عنها الى ذلك البرلمان . فاز هوفمان على خصمه مرشح الأوساط الليبرالية العثمانية ، فكان النائب الوحيد في البرلمان الاتحادي الألماني الذي يمثل حركة الاقتياء الألمان (١٣) .

وجد هوفمان في الاتجاهات الليبرالية والثورية، التي لقيت من يعبر عنها ويمثلها في برلمان فرانكفورت ، دليلا على فشل الكنيسة الانجيلية في القيام برسالتها . فعاد الى منطقتة وبدأ الدعوة الى انشاء كنيسة حرة من الأوساط المتدينة الورعة، وتأسيس جمعية انجيلية *Evangelische Verein* مستقلة عن الكنيسة الانجيلية الرسمية، وكان ساعده الأيمن في دعوتة هذه جورج دافيد هارديج *Georg David Hardeg*، الذي تعرف عليه عام ١٨٤٨ (١٤) ، وصديقه عمانويل باولوس .

واتخذت هذه الحركة الدينية اتجاها جديدا عام ١٨٥٢، مع اندلاع حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا ، اذ سرى اعتقاد ندى الأوروبيين ان الدولة العثمانية على شفا الانهيار ، وأن فككها بات وشيكا . وجاءت الاضطرابات الدينية التي حدثت في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، لتشد انظار المتدينين الألمان الى الأرض المقدسة . وبرز كريستوف هوفمان يدعو الى سلخ فلسطين عن الدولة العثمانية، وجعلها موطنا لشعب الله *Das Volk Gottes* ، تنفيذا لوعود الانبياء الواردة في التوراة . وشعب الله هذا ليس الشعب اليهودي ، الذي لم يعد له وجود ، وانما هو الشعب المسيحي الانجيلي .

وفي ٢٤ آب عام ١٨٥٤ دعت لجنة أصدقاء القدس، التي تشكلت من أتباع هوفمان ، الى اجتماع عام يعقد في فالدهورن Waldhorn، قرب لودفيجزبورغ، من أجل بحث الوسائل اللازمة لتحقيق مشروع هوفمان . واقتراح هارديج في هذا الاجتماع التوجه الى البندستاغ، في فرانكفورت، والطلب منه ان يسعى لدى السلطان العثماني للسماح للألمان باستعمار فلسطين ، من أجل ايجاد عمل للعاطلين عن العمل في ألمانيا . وكان الشعار الذي طرحه هارديج في هذا الاجتماع « ينبغي ايجاد عمل للشعب الألماني » **“die deutsche Nation muss Arbeit Haben.”** . ونفذ اقتراح هارديج، ووَقَّع العريضة ٤٣٩ شخصا ، وحملها هوفمان وهارديج وقدمها الى البارون فون بروكش Von Brokesch ، رئيس البندستاغ . غير اننا لا نعلم شيئا عن استجابة البندستاغ لهذه العريضة أو رفضها (١٥) .

وتولّت مجلة Sueddeutsche Warte، الناطقة باسم الجماعة الدعوة الى المشروع الجديد . واخذت في الوقت نفسه تشنّ هجوما على كنيسة فورتبيرغ الانجيلية الرسمية . وفي هذه الاثناء كتب فيلهلم هوفمان، من برلين، الى شقيقه ينصحه بالبقاء في حوزة الكنيسة الانجيلية، والابتعاد عن مغامرات هارديج . غير أن كريستوف لم يُعزْ بالآلهة النصيحة ، وكتب مشروع دستور للجمعية الجديدة سماه « مشروع دستور شعب الله **“Verfassungsentwurf des Volkes Gottes”** . فتشكلت الجمعية في عام ١٨٥٤ تحت اسم **“جمعية جميع شعب الله في القدس Gesellschaft fuer Sammlung des Volkes Gottes in Jerusalem”**،

وجعلت هدفها السعي لجمع شعب الله في القدس لبناء مملكة الرب . وراى قادة الجمعية انهم بحاجة الى مزيد من الاعداد على ارض الوطن، لجمع اكبر عدد ممكن من الالمان وغيرهم قبل الهجرة الى فلسطين . وقام هوفمان وهارديج برحلات عديدة في أوروبا ، وحضرا في خريف عام ١٨٥٤ مؤتمرا

دينيا في باريس، وعرضا عليه مشروعها، فلقى اهتماما من المؤتمرين .

وتبرعت بعض الاسر الثرية بالأموال لشراء الاراضي الواجب تجميع شعب الله عليها في المانيا قبل الانطلاق الى استعمار فلسطين . فتم شراء قطعة واسعة من الارض في كيرشنهاردتيوف ( Kirchenhardthof ) ، قرب فينندن Winnenden تحت منبع نهر النيكر Necker ، عام ١٨٥٦ . وتمكن هوفمان وهارديج من جمع عدد كبير من الانتصار، أطلق عليهم اسم « اصدقاء القدس Jerusalem Freunde » ، بلغ عددهم حوالي عشرة آلاف شخص . وساهمت سنوات الجذب التي شهدتها مملكة فورتمبرغ ، خلال السنوات الاولى من تشكيل هذه الجمعية ، في كسب العديد من الانتصار الراغبين في الهجرة الى فلسطين (١٦) .

وانتهت حرب القرم عام ١٨٥٦ دون أن تسفر عن انهيار الدولة العثمانية، كما كان يتوقع هوفمان وانصاره . وشنت الكنيسة الانجيلية الوطنية في فورتمبرغ ، بتشجيع ودعم من حكومتها ، حملة شديدة على اصدقاء القدس . فأخذت اعدادهم تقل تدريجيا (١٧) .

وفي صيف عام ١٨٥٨ قررت الجمعية ارسال وفد مؤلف من هوفمان وهارديج والمزارع بوبيك Bubeck الى فلسطين ، ايمانا منها بأن المسألة الشرقية لم تحلّ بمؤتمر باريس عام ١٨٥٦ ، وان لا بد من دراسة امكانية استعمار فلسطين . وصل الوفد الى فلسطين، والتقى بمطران القدس الانجليكاني صموئيل غوبات Samuel Gobat ، وبالمبشر الانجيلي شنلر Schneller ، فشرحا للوفد اوضاع فلسطين، ولم يشجعاه على تنفيذ مشروعهم . وجمع الوفد معلومات جيدة عن البلاد من القنصلية البروسية في القدس . ولما عاد الوفد الى المانيا نشر هوفمان تقريرا عن الزيارة في مجلة Sueddeutsche Warte ، بيّن فيه المصاعب التي تعترض

الاستيطان في فلسطين ، و اوضح ان لا بد من الاستعداد لذلك . ودامت فترة  
الاستعداد هذه عشر سنوات (١٨) .

دخل هوفمان وانصاره في اثناء ذلك في خلاف مع كنيسة فورتبيرغ  
الانجيلية، ادى الى طردهم منها في ٧ تشرين الاول عام ١٨٥٩ . واضطروا  
الى انشاء طائفة دينية خاصة بهم . فقدم هوفمان اقتراحا الى مجلس  
الجمعية بتسمية الطائفة « الهيكل الروحي Der geistliche Tempel »  
او « طريق الخلاص Der Weg Zur Rettung » . اما فكرة « الهيكل »  
وتسمية الجمعية به، فتعود الى القس المعداني جاكوب امان Jakob Amman ،  
الذي انشأ في برن Bern ، بسويسرا، جمعية بهذا الاسم عام ١٦٩٣، بهدف  
اعادة بناء هيكل الرب في القدس (١٩) . ولا صلة لهذه التسمية بجمعية  
« فرسان الهيكل » التي تشكلت في مطلع القرن الثاني عشر، واستمرت في  
نشاطها حتى نهاية احتلال الفرنجة لبلاد الشام في نهاية القرن الثالث  
عشر .

واشتدت حملة الكنيسة الانجيلية على الطائفة الجديدة، فنفرت العديد  
من أفرادها ؛ غير انها استطاعت ان تحافظ على بقاء بعضهم في حظيرتها وان  
تكسب الى صفوفها العديد من الاتباع خارج المانيا، وبخاصة في اوساط  
المهاجرين الالمان في امريكا الشمالية وجنوب روسيا .

واعيد تنظيم الجماعة في كيرشنهاردتهوف عام ١٨٦١ تحت اسم جماعة  
الهيكل الالمانية Deutscher Tempel ، من اجل تجديد حياة « شعب الله »  
الدينية والاجتماعية . وحتى تكسب الجمعية ولاء العناصر القومية الالمانية،  
رفعت شعارات قومية المانية . وجاء في احد بياناتها : « ان روح الشعب  
الالمانى ومزاياه ينبغى ان تكون الطابع المميز لهيكل القدس واستعمار  
فلسطين . . . ولا بد من السعى لدى سلطة المانية ( او دولة المانية ) لمتابعة

تحقيق هذا الهدف « . (٢٠) .

واستمر قادة الجمعية يحضرون المؤتمرات العينية التي كتبت تعقد في برلين ولندن وبيرو وجنيف ، ويتجولون في العواصم والمدن الأوروبية الكبرى يدعون الى تحقيق مشروعهم . فقد شارك هارديج في المؤتمر الذي عقد في جنيف عام ١٨٦٧، والذي كان ضيف الشرف فيه غاريبالدي Garibaldi ، بطل الحرية في ايطاليا . كما حضر حفل انشاء الصليب الاحمر على يد السويسري هنري دينان Henri Dunant ، الذي بهدى اهتمامه بشؤون الشرق العربي في فترة مبكرة . فقد اصدر كتابا في باريس بعنوان « تجديد الشرق La Rénovation de l'Orient » عام ١٨٦٥ . وقام دينان أثناء اقامته في باريس بانشاء جمعية العمل الدولي من أجل تجديد فلسطين Oeuvre Internationale de la Rénovation de la Palestine ، وتولى منصب سكرتيرها العام ؛ وتولى انشاء فروع لها في باريس . واقام هارديج صلات وثيقة مع دينان . وتولى الأخير توجيه نداءات الى فروع « الجمعية الدولية لتجديد فلسطين » من أجل هيمنة المسيحيين على فلسطين عن طريق الاستيطان السلمي .

وسمى دينان لدى السفير العثماني في باريس جمال باشا، ولدى الوزير المفوض الفرنسي في اسطنبول المسيو بوريه Bourée ، من أجل حث الباب العالي على السماح للمستعمرين الالمان، من جمعية الهيكل بشراء الارض في فلسطين والاستقرار فيها . وتحت ضغط دينان جاء الجواب من الباب العالي يطلب تحديد موقع الارض التي يريد المستعمرون الالمان شراءها . فاتصل دينان بهارديج، واقترح عليه ارسال مهندس مختص الى فلسطين من اجل اختيار الموقع المطلوب وتحديد مساحته . وكتب رسالة الى هارديج مؤرخة في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٦٨ يقول فيها : « من

المعروف جيدا أن ارسال مهندس من أوروبا أمر مكلف ( ١٠٠٠٠-١٥٠٠٠ فرنك ) ، وهذا مبلغ أولى بجمعيتكم أن توفره لها . ولذلك تمنا بالاتصال بعدد من الأشخاص، وبخاصة بالوزير المفوض بورييه، ليسأل اذا كان بالامكان ايجاد مهندس قدير وأمين، وبأجر قليل، في اسطنبول او في اي مكان آخر في الشرق . واتصلنا بدورنا بمحل لوفنتال Loewenthal في يافا لهذا الغرض . ولكننا لم نستطع أن نحصل على المهندس المطلوب . وربما كان من الأفضل لو أن جمعيتكم اختارت مهندسا من بين أعضائها، وكلفتسه بالسفر الى فلسطين . . . » . وفشل دينان وهارديج في العثور على المهندس المطلوب . واخيرا قررت الهيئة الادارية لجمعية الهيكل، في اجتماع عقده في ٢٤ آذار ١٨٦٨ في كيرشنهاردتهوف، أن يقوم هونمان وهارديج بالسفر الى فلسطين في آب من العام نفسه، من أجل انشاء أول مركز، Tempel Post ، للجمعية على أرض فلسطين . وقد سرّ دينان بهذا القرار، وكتب الى هارديج في ٨ نيسان ١٨٦٨ يقول : « آمل ان نتمكن من احراز بعض التقدم في عملنا في هذا الصيف . وكلما طال الزمن زاد اقتناعي بذلك . يمكنك الاعتماد علي ، انني مؤمن بمستقبل فلسطين . . . وسيكون لجمعيتكم الشرف الكبير في انشاء أول مستعمرة على الارض المقدسة . . . » ( ٢١ )

وفي ٦ آب ١٨٦٨ سافر زعيما جمعية الهيكل، هونمان وهارديج، من كيرشنهاردتهوف مع أسرتيهما الى فلسطين . ومَرّا بفيثا حيث قابلا البارون فون أورزي Von Orsi من وزارة الخارجية النمساوية، فوعدهما بأن يقدم ممثلو الحكومة النمساوية الدبلوماسيون النصائح والمساعدات الضرورية لهما . كما مرا ببودابست، وقابلا فرانز دياك Franz Deák ، صاحب فكرة الاتحاد النمساوي - الهنغاري . واخيرا وصلا الى اسطنبول، حيث رحّب بهما الوزير المفوض لرابطة دول شمال المانيا

**der Norddeutsche Bund** الذي كان قد تلقى تعليمات من البلاط الملكي البروسي بتقديم التسهيلات اللازمة لهما ، نتيجة وساطة شقيق هومنان، القس في البلاط البروسي . وفي ١٥ ايلول ١٨٦٨ تقدّم هومنان وهارديج بطلب الى الباب العالي للموافقة على شراء قطعة من الارض مساحتها ثلاثة اميال مربعة على جبل الكرمل في حيفا . وجاء اختيار موقع القطعة بنوصية من المفوضية الالمانية . وأوضحا في طلبهما هذا ان الغرض من الاستقرار في فلسطين ديني محض، وليس له اية ابعاد سياسية ، وان الاستيطان هناك سيقترن على أعضاء جمعية الهيكل، وسوف يتم بصورة تدريجية . كما ابانا أيضا دور الجمعية المقبل في تطوير الزراعة والصناعة في البلاد ، ولذلك طالبا باعفاء المستوطنين الالمان من الضرائب لمدة تتراوح بين خمس وسبع سنوات، حتى يتمكنوا من تدبير أمورهم . وابدوا رغبة المستوطنين في ادارة شؤونهم بأنفسهم، دون أي تدخل من السلطة الحاكمة.

واتصل هارديج بالوزراء المفوضين لدول النمسا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة وروسيا وهولندا والسويد، وقال لهم : « ان ظروف شعبنا اقنعتنا بأن الوقت قد حان لبناء هيكل الرب في الارض المقدسة ؛ فأقوال الانبياء في العهدين القديم والجديد تعتبر بناء الهيكل الوسيلة الوحيدة لسعادة الشعوب والافراد على حد سواء » . ورغم النشاط الحثيث الذي بذله زعيما جمعية الهيكل طوال مدة اقامتهما في اسطنبول ( ٤٥ يوما ) ، لم يحصلوا على الفرمان المطلوب . فغادرا العاصمة العثمانية في ٨ تشرين الاول ١٨٦٨ باتجاه بيروت، فوصلا اليها بعد أربعة عشر يوما . وقابلوا هناك القنصل البروسي العام الدكتور فيبر **Dr. Weber** ، فقدم اليهما عددا من النصائح، ومنها ان لا يتنازلا عن الجنسية الالمانية، وان يرفضوا الجنسية العثمانية ، لكي يتمتعا بحماية القناصل الالمان . ومن بيروت سافرا الى حيفا فبلغاها في ٣٠ تشرين الاول عام ١٨٦٨ (٢٢) .

كان من الاسباب التي دفعت زعيمة جمعية الهيكل الى البسوء بمشروعها الاستيطاني في فلسطين ، صدور القانون العثماني للسادس عشر من حزيران عام ١٨٦٧، الذي اباح للرعايا الاجانب حق التملك في المدن والريف في كافة الولايات العثمانية . واصبح هذا القانون نافذ المفعول في حزيران ١٨٦٨ . لذلك اعتقد زعيما جمعية الهيكل ان الطريق امامهما قد فتح لشراء الارض في فلسطين والاستقرار عليها (٢٣) .

### مستعمرة الهيكلين في حيفا

عند وصول هوفمان وهارديج الى حيفا، استقبلهما نائب القنصل البروسي في المدينة، الهرتسيفوس Ziphos ، وقدم لهما كل ما يحتاجان اليه من عون ومساعدة . وفي الايام الاولى من اقامتهما وصل رد الباب العالي على طلبهما، يؤكد استحالة السماح لهما بشراء الارض في حيفا الا اذا حصلوا على الجنسية العثمانية . ولكن هذا الرد لم يثنهما عن مشروعهما، فاجريا اتصالات بالبلاط البروسي، الذي اصدر تعليماته الى الوزير المفوض لرابطة دول شمال المانيا في اسطنبول بضرورة التوسط لدى الباب العالي، وتذكير المسؤولين العثمانيين بانهم سمحوا لرعايا دول اوروبية اخرى بشراء الارض دون التجسس بالجنسية العثمانية (٢٤) .

غير ان هوفمان وهارديج لم ينتظرا نتائج الاتصالات الدبلوماسية، وبتشجيع من تسيفوس قاما بشراء قطعة من الارض مساحتها عشرة هكتارات عن طريق الاحتيال على القانون العثماني ؛ اذ تم الشراء عن طريق وسيط يحمل الجنسية العثمانية، وقام بدوره بتأجيرها لهما لمدة طويلة. ولما احتج القاضي على عملية البيع، سويت القضية بتدخل نائب القنصل البروسي (٢٥) .

وبدا بناء اول مستعمرة المانية في فلسطين على قطعة الارض هذه، التي

كثت تمتد من شاطئ البحر حتى سفح جبل الكرمل ، في ربيع عام ١٨٦٩ .  
وُدِّسنت المنازل الاثنا عشر التي بنيت على هذه الارض في آذار ١٨٧٠ من  
قبل نائب القنصل البروسي تسيغوس ، واشتملت آنذاك على منازل للسكن،  
وبناء لمدرسة، وآخر للصلاة . وقد وُضِع تصميم هذه المنازل والابنية مهندس  
دنماركي جاء من بيروت، اسمه لويغد Loyved . (٢٦) وعلى مدخل المستعمرة  
نقشت العبارة التالية باللغة الالمانية « لتنسني يميني ان نسيتك يا قدس  
Vergesse ich dein Jerusalem, So wurde meiner Rechten

” ( 1969 ) vergessen ، وحرص هوفمان وجماعته على بناء

المستعمرة على الطراز الالمانى، وفتح الشوارع الواسعة فيها، وتزيينها  
بالاشجار والزهر والورود . كما اهتمت الهيئة الادارية للجمعية باختيار  
افضل العناصر من اعضائها للهجرة الى فلسطين، من اجل اقامة مجتمع  
متماسك مستقل عن المحيط العربي ؛ كما حرصت على اقامة صلات وثيقة  
بالوطن الام ، وعلى الحفاظ على مستوى حياتهم كأوروبيين في حيفا (٢٧) .

ونمت هذه المستعمرة بقدم مهاجرين جدد من كيرشنهاردتهوف،  
وبخاصة بعد ابرام اتفاقية بين مملكة بروسيا والدولة العثمانية في ٧ حزيران  
١٨٦٩، نصت على السماح للالمان بالاقامة والاستقرار في فلسطين . فبلغ  
عدد سكان المستعمرة في بداية عام ١٨٧٣ ( ٢٥٤ ) نسمة . وبلغ عدد  
بيوتها ( ٣١ ) بيتا ، استعمل عشرون بيتا الى جانبها كعامل وورش للعمل .  
وفي عام ١٩٠٢ بلغ عدد سكانها ٥١٧ نسمة ، وبلغ عدد منازلها ٩٢ منزلا،  
والى جانبها ٩٥ ورشة عمل (٢٨) . وبلغ عدد سكانها عند اندلاع الحرب  
العالمية الاولى ( ٧٥٠ ) نسمة (٢٩) . ونقص عدد سكانها بسبب الاحتلال  
البريطاني لفلسطين ١٩١٧/١٩١٨، واعتقال العديد من الالمان، وتهجير  
بعضهم قسرا الى المانيا في نهاية الحرب العالمية الاولى، والسنوات الاولى  
التي تلت توقيع معاهدة الصلح بين المانيا والحلفاء عام ١٩١٩ (٣٠) .

اعتنى الالمان في السنوات العشر الاولى من استيطانهم في حيفا بزراعة الكرمة، وبناء معامل لانتاج النبيذ . غير ان مرضا اصاب الكرمة في الثمانينات من القرن التاسع عشر، فقاموا باقتلاعها . وكذلك اصببت اشجار الحمضيات التي زرعوها بأمراض ادت الى اقتلاعها . عند ذلك انصب اهتمامهم على زراعة الزيتون، الذي كانوا يستخرجون منه صابونا من نوع جيد، كانوا يصدرونه لمانيا وأمريكا الشمالية .

واقاموا في المستعمرة طاحونة هوائية على الطراز الهولندي، كما أنشأوا مزرعة للالبان . وانصرفوا تدريجيا عن الزراعة، واتجهوا نحو التجارة والصناعة، حتى أصبحوا محور الحياة الاقتصادية في حيفا . وكانوا روادا في الصناعات والحرف اليدوية وتجارة الاستيراد والتصدير . وأدخلوا الى حيفا المكتبات الحديثة، والأمسيات الموسيقية، والنوادي المسرحية، والنشاط الرياضي ؛ فكانت مثلا يحتذى من قبل السلطات العثمانية في المدينة (٣١) .

### مستعمرة يافسا :

في آذار عام ١٨٦٩ وفد الى هوفمان زائر من يافسا من اصدقائه الذين تعرف بهم في بازل ، هو المبشر الانجيلي زالميلر Saalmueller، يرافقه الالماني ميسلر Messler ، الذي اشترى المستعمرة الامريكية في يافسا والمعروفة باسم « قرية آدامز Adams City » وجاء يعرضها على انهيكليين الالمان بسعر معقول . ومن المعروف ان هذه المستعمرة المؤلفة من تسعة عشر بيتا من الخشب، قد أنشأتها طائفة دينية أمريكية جاءت الى فلسطين لتشهد عودة المسيح الى الأرض، كما كانت تعتقد . ولكنها هجرت المستعمرة بعد ان تبين لاتباعها ان النبوة بعودة المسيح لم تتحقق ، وبعد ان فتكت بهم الأمراض (٣٢) .

لقي العرض الذي تقدم به ميسلر استجابة لدى الهيكليين، فاشترى خمسة منازل منها بمبلغ ( ٦٥ ) ألف فرنك فرنسي اول الامر، ثم ما لبثوا ان اشترى ثلاثة ارباعها في مطلع عام ١٨٧١ ، وبعد ذلك بعامين اصبحت المستعمرة باكملها ملكا لهم ( ٣٣ ) .

وفي ايار ١٨٦٩ انتقل هوفمان من حيفا الى المستعمرة الجديدة، واولك ادارة مستعمرة حيفا الى رفيقه هارديج . وباشرف فور وصوله ببنياء مستشفى صغير ودار للضيافة Gasthaus .

وحدث ان قام ولي عهد بروسيا، الامير فريدريش Friedrich ، بالحج الى القدس في ذلك العام ، بعد ان حضر الاحتفالات بفتح قناة السويس ؛ فنزل في يافا في ٢ تشرين الثاني عام ١٨٦٩ ، وزار المستعمرة الالمانية الجديدة . وكتب هوفمان عن هذه الزيارة في مجلة الجمعية، Sueddeutsche Warte في عددها الصادر في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٩ ، يقول : « لقد استقبلناه ( ولي عهد بروسيا ) على مدخل المستعمرة ، فنزل عن جواده وتحدث الى العديد منا بروح ودية ، ثم تجول في المستعمرة ، وزار منزل رئيس الجمعية . واتجه بعد ذلك الى دار الضيافة، حيث تناول مع حاشيته طعام الفطور . وودعناه بعد ذلك ، فركب جواده، يرافقه جنود البحرية ( الالمان )، والباشا ( العثماني )، والجنود الاتراك نحو الرملة . . » . هذا وقد تبرع الامير البروسي ببعض المال للجمعية ( ٣٤ ) . وبلغت مساحة مستعمرة يافا هذه ستين هكتارا .

### مستعمرة سارونا Sarona

توسع المستوطنون الهيكليون في يافا في نشاطهم ، واشترى في عام ١٨٧١ قطعة من الارض على طريق يافا - تل ابيب مساحتها ٧٨ هكتارا، ( بسعر الهكتار الواحد مئة غولد Guld ) . وبدأ بناء المنازل على قطعة

الأرض هذه في ٢٧ آب ١٨٧١، فكانت المستعمرة الألمانية الثالثة في البلاد .  
وتولى تصميم الابنية والتخطيط للمستعمرة المهندس الألماني ثيودور زاندل  
Theodor Sandel ، ابن طبيب المستعمرة الهيكلية في يافا، الدكتور زاندل  
وقد انتقل الى المستعمرة نائب القنصل الألماني في يافا، مراد أفندي ( أرمني  
الأصل ) .

انتشرت الحمى بين سكان المستعمرة في عام ١٨٧٢ ، وفنكت بثمانية  
وعشرين شخصا من مجموع سكان المستعمرة، البالغ حوالي مئة نسمة (٣٥) .  
اشتهرت مستعمرة سارونا بزراعة الزهور والكرمة وتربية الأبقار،  
كما وجد فيها معمل لانتاج النبيذ .

وفيما يلي بيان بتطور هذه المستعمرة بين عامي ١٨٧٢ و ١٩٢٦ :

معدل

المساحة للفرد

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	الواحد بالهكتار
١٨٧٢	٦٣	٧٨	١ر٢
١٨٨٠	١٦٢	٢٢٣	١ر٤
١٨٩٨	٢٦٣	٤٦٩	١ر٧
١٩١٤	٢٠٠	٤٧٤	٢ر٤
١٩٢٦	٢٢٥	٤٩٢	٢ر٢ (٣٦)

### مستعمرة ريفاييم Rephaim

اشترى الهر فرانك Frank ، أحد أعضاء جمعية الهيكل في مستعمرة  
يافا، قطعة من الأرض في ريفاييم شمال غربي محطة سكة حديد القدس،  
خارج حدود البلدية ، في نيسان عام ١٨٧٢، وبنى عليها منزلا وطاحونة تعمل

بالماء . واخذ اعضاء الجمعية يتوافدون اليه ويشترون الارض المجاورة . واعتنى سكان المستعمرة الجديدة باصلاح العربات التي تجرها الخيول . فمئذ عام ١٨٦٧ فتحت طريق للعربات بين يافا والقدس ، وكانت بذلك اول طريق للعربات في فلسطين . واهتم الالمان بالنقل بين يافا والقدس ، وأصبح منتظما بعد بضع سنوات من انشاء المستعمرة الجديدة (٣٧) .

اصبحت مستعمرة ريفايم منذ عام ١٨٧٨ المقر العام لادارة جمعية الهيكل ؟ وبلغت مساحتها ٢٥ هكتارا . وكان معظم سكانها يشتغلون بالحرف اليدوية والتجارة والصناعة ، واشتملت على مدرسة ثانوية كاملة وروضة للاطفال (٣٨) .

#### مستعمرة فالهالا Walhala

انشأها المستعمرون الالمان في يافا عام ١٨٩٢ على طريق يافا - تل ابيب . واقيم في هذه المستعمرة مستشفى لمعالجة الالمان المقيمين في المستعمرات الالمانية في جنوب فلسطين ( يافا ، سارونا ، فيلهلما ) . وكان سكانها يمارسون التجارة والصناعة والحرف اليدوية ، ويعملون في وكالات التأمين والنقل البحري . وانشئ في المستعمرة معمل للاسمنت . وبنيت ( فندق القدس ) في يافا الذي كان من اجمل فنادق المدينة (٣٩) .

#### مستعمرة فيلهلما Wilhelma

انشئت على يد المستوطنين الالمان في مستعمرتي يافا وسارونا عام ١٩٠٢ ، على بعد خمسة اميال الى الشمال الشرقي من اللد في وسط سهل خصيب ، بالقرب من سكة حديد اللد - حيفا . بلغ عدد سكان المستعمرة في العام الاول من انشائها ٩٤ نسمة . وفيما يلي بيان بتطور هذه

المستعمرة بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٢٦ :

معدل			
المساحة للفرد			
السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	الواحد بالهكتار
١٩٠٣	٩٤	٨٢٤	٨٨٨
١٩١٤	١٩٥	٩١٩	٤٦٦
١٩٢٦	٢١٥	٩٥٩	٤٥٠ (٤٠)

#### مستعمرة نويهاردهوف Neuhardhof

انشأها المستعمرون الالمان في حيفا من أجل الحصول على مزيد من الأرض، خارج نطاق المستعمرة الهيكلية الاولى في البلاد . وتقع المستعمرة الجديدة على بعد أربعة أميال الى الجنوب من جبل الكرمل . وبلغت مساحتها أربعمئة هكتار . وقد استُغلت أرض المستعمرة لزراعة مسحة الخضروات والحبوب (٤١) .

#### مستعمرة بيت لحم في الجليل Bethlehem

انشأها المستوطنون الالمان في حيفا عام ١٩٠٦، بأموال من « جمعية شتوتجارت لتطوير الاستعمار الالمانى في فلسطين »، على أرض قرية بيت لحم الواقعة على سفوح جبال الجليل، والتي تبعد بضعة أميال عن مدينة الناصرة . لها مساحتها ألف وسبعمائة هكتار ، زُرِع ثلثها بأشجار البلوط، والباقي بأشجار الكرمة والفواكه والحبوب . وفيما يلي بيان بنمو هذه

## المستعمرة بين عامي ١٩٠٧ و ١٩٢٦ :

معدل			
المساحة للفرد			
الواحد بالهكتار	المساحة بالهكتار	عدد السكان	السنة
٥٤ر٨	٧١٨	١٠	١٩٠٧
١٣ر٣	٧١٨	٤١	١٩١٤
٥٤ر٥ (٤١)	٧١٨	٩٨	١٩٢٦

### مستعمرة فالدهايم Waldheim

أنشئت هذه المستعمرة عام ١٩٠٧ بالقرب من بير سالم على يد المسؤولين عن دار الأيتام السورية Das Syrische Waisenhaus، لتكون مركزا لتدريب خريجها واستغلالها لتمويل دار الأيتام . ولذلك لا صلة لها بمستعمرات جمعية الهيكل .

### مستعمرة شمه Chemeh

كانت تتبع بدورها دار الأيتام السورية في القدس، ولم تختلف عن مستعمرة فالدهايم من حيث الأغراض التي أنشئت من أجلها (٤٢) .

اشتملت كل مستعمرة من مستعمرات الهيكلين على قاعة للاجتماعات العامة، وأخرى للعبادة، ومدرسة، وروضة أطفال أو أكثر، وجمعيات للموسيقى، وناد رياضي، ومستوصف صغير أحيانا . .

### المصاعب الداخلية التي واجهها المستعمرون الالمان :

في السنوات الأولى للاستيطان واجه المستعمرون الهيكليون صعوبات

ومتاعب عديدة بعضها أمني وبعضها الآخر اقتصادي واجتماعي . لذلك أهملوا الأمور الروحية، وفشلوا في كسب أنصار حدد لحركتهم في فلسطين وفي ألمانيا . وبلغ مجموع من استقر منهم في فلسطين بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٥ نحو سبعمئة وخمسين عضوا ، أي نحو ربع عدد أعضاء الجمعية . وبعد عام ١٨٧٥ أخذت جمعية الهيكل في الاضمحلال التدريجي في ألمانيا نفسها، وتوقفت منذ ذلك العام هجرتهم من ألمانيا ، ومات معظم الجيل الأول من هؤلاء المستعمرين في أواخر السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر .

أدرك الجيل الجديد تعذر تحقيق الغاية من هجرتهم الى فلسطين، وهي جمع « شعب الله » في القدس وإقامة ملكة المسيح . وتركز اهتمامهم على تحسين أحوالهم، وتقديم نمط معين من المعيشة للسكان المحليين . وساهم هذا التغيير في أهداف الجمعية في جعل الحياة أسهل . كانت أول الصعوبات التي واجهها المستعمرون الهيكليون في فلسطين النزاع بين زعيمة الجمعية، كريستوف هوفمان وجورج هارديج : كان هوفمان المؤسس الروحي للجمعية ، وكان هارديج المنفذ لفكرة المستعمرات . أما أسباب الخلاف بينهما فمشخصية، تدور حول كيفية تطوير الاستيطان الألماني ، وحول بعض الآراء الدينية .

فقد تولى كل منهما إدارة مستعمرة مستقلة عن الأخرى . وكانت مستعمرة حيفا من نصيب هارديج بينما كانت مستعمرة يافا من نصيب هوفمان . وكان هارديج قد أسرع الى شراء أراضي تابعة لمستعمرته دون التنسيق مع هوفمان . وعارض هارديج بشدة نقل المعهد الثانوي الى رينهايم، قرب القدس . وحصل خلاف بين هارديج والهيئة الإدارية لجمعية الهيكل في شئون تجارتها، حول أموال صندوق الامتعمار التابع للجمعية،

**Kolonisations Kasse** . ورفض هارديج أن يجيب عن كيفية صرفه لهذه الاموال، فانهمته الهيئة الادارية بالتبذير . وكان لسلكه المتصلب اثر في ابتعاد الهيكلين في فلسطين عنه ؛ فقد كان منقرا في تصرفاته . ولما اجريت الانتخابات لاختيار القيادة الجديدة للجمعية، عام ١٨٧٤، لم ينجح هارديج . فما كان منه الا ان اعلن انسحابه من الجمعية . وصدرت مجلة الجمعية " *Suddeutsche Warte* " في ١٧ تموز ١٨٧٤ بأخر مقال له بعنوان " *Mein Abschied von der Gesellschaft des Tempels* " ، أكد فيه التزامه بمبادئ الجمعية رغم انفصاله عنها . وخرج مع هارديج عدد من اصدقائه، فشكوا « *رابطة الهيكل، Der Tempelverein* » . ومنذئذ تولى القيادة العليا للجمعية كريستوف هوفمان، الذي اصبح يتمتع بسلطات واسعة . فأعاد تنظيمها بحيث اصبح لها مجلس استشاري، *Tempelrat*، مؤلف من مئة عضو . ووثقت الجمعية صلاتها بفروعها في المانيا وأمريكا الشمالية وجنوب روسيا، بان اصبح لهذه الفروع ممثلون في مجلس الجمعية الاستشاري . وفي مطلع ايلول من عام ١٨٧٤ دعي ممثلون عن فروع الجمعية للمشاركة في عيدها الذي اقيم في حيفا . وبناء على قرار مجلس الجمعية أُعْتُبر يوم التاسع من ايلول عيداً لها . وتم الاحتفال بهذا العيد الاول بحضور المندوبين المذكورين . ومنذئذ تكررت اللقاءات في هذا العيد الذي كان القصد من استحداثه الحفاظ على الولاء للجمعية (٤٣) .

وحدث انقسام جديد في صفوف جمعية الهيكل، سببه الخلاف بين هوفمان ودافيد شتراوس ، *David Strauss* ، خليفة هارديج في ادارة مستعمرة حيفا ، حول اسرار الكنيسة المقدسة، وتعاليم الثالوث الاقدس، والوهية المسيح، وموت المسيح الابن . وكان تاثير هوفمان العقلاني على جماعته قويا جدا ، لذلك بقيت اكثرية اعضاء الجمعية تدين له بالولاء .

وانفصل عدد ضئيل من الاعضاء وأخذ يتقرب من الكنيسة الانجيلية .  
واستغلت الكنيسة الانجيلية الانتقادات في صفوف جمعية الهيكل ،  
فاوفدت القس راينكه ، Reinecke ، من القدس منذ عام ١٨٧٩ الى  
مستعمرات الهيكليين . وقام خليفته القس شلخت ، Schlicht ، بالمهمة  
نفسها . وفي عام ١٨٩١ قررت « جمعية بيت المقدس »  
Jerusalem Verein « (٤٤) الانجيلية ارسال معلم الى مستعمرة حيفا  
ليقوم بتدريس أبناء الطائفة هناك ، المنشقين عن هوفمان . وبعد ذلك بعام  
واحد بنيت مدرسة لهذه الغاية . وعندها قررت جمعية بيت المقدس ارسال  
القس ديكرت ، Deckert ، الى حيفا . وبذلك اصبح للطائفة الانجيلية في  
حيفا مدرستها وكنيستها . وبلغ عدد الأسر التي عادت الى حظيرة الكنيسة  
الانجيلية من مستعمرة حيفا الهيكلية عشرين أسرة (٤٥) .

وكان للحرب العالمية الاولى آثار سلبية على المستعمرات الالمانية ،  
اذ منيت بخسائر فادحة على الصعيد الاقتصادي . ومع ذلك بلغ عدد  
المستوطنين الالمان في عام ١٩١٨ نحو الفى نسمة (٤٦) .

### الحركة الثقافية في المستعمرات الهيكلية الالمانية في فلسطين :

سعى كريستوف هوفمان ، الزعيم الروحي لجمعية الهيكل ، منذ  
وصوله الى فلسطين الى انشاء مؤسسة تعليمية تهيم التلاميذ من ابناء  
اعضاء الجمعية الى الالتحاق بالتعليم الجامعي في المانيا . كتب هوفمان الى  
رفيقه باولوس في ٢٨ ايار ١٨٧٠ يقول : « ان المدارس تشغل بالي ليل  
نهار » . وكان هم هوفمان تنشئة اجيال جديدة مؤمنة بالرسالة التي كرس  
نفسه لها . ولم تكن المدارس التي أنشأتها الجمعية في مستعمراتها السابقة  
الفكر مجرد مدارس دينية ، وانما كانت تدرّس الرياضيات والعلوم الطبيعية  
والطوم الفنية والتاريخ والجغرافيا واللغات الحديثة ( الالمانية والفرنسية

والعربية ) . وكان التعليم الديني أساسيا في هذه المدارس .

ولعل أبرز انتاج ثقافي للهيكلين في فلسطين هي مؤلفات زعيمهم كريستوف هومنان وجورج هارديج ؛ فقد تولى الأول رئاسة تحرير مجلة الجمعية، Sueddeutsche Warte ، التي كانت تصدر في شتوتجارت مدة طويلة من الزمن، وأصدر في عام ١٨٧٥ ، كتابا مهما هو « الغرب والشرق : تاريخ ثقافي من وجهة نظر جماعة الهيكل في فلسطين : Okzident und Orient : Eine Kulturgeschichte Betrachtung Vom Standpunkt der Tempelgemeinden in Palaestina, Stuttgart, Druck und Verlag J.F. Steinkopf, 1875.

ويتضمن هذا الكتاب المبادئ الأساسية لمعقيدة الهيكلين بعد الكتاب المقدس ( العهد القديم والعهد الجديد ) . وفيه ايضاحات جيدة لأفكار هومنان وتطلعاته . ويتضمن الفصل الأول منه عرضا لتطور جمعية الهيكل وفكرتها الاستعمارية ، ومدى صلتها بحركة الانتقاء القديمة ، وموقفها من المسائل الكنسية والعلمية والاجتماعية . ويؤكد هومنان في هذا الفصل ان الهدف الأول للجمعية السعي الى استعادة ما فقدته الكنيسة من هيمنة روحية على رعاياها، وثقة المثقفين والمؤمنين بها ، وتحقيق تعاليم الكتاب المقدس .

اما الفصل الثاني من الكتاب فيدور حول الشرق وحاجاته ، مؤكدا على ان على مستقبل الشرق يقوم التجديد الديني للانسانية . ويبين ان الواجب الديني ينبغي ان يحرك المسيحيين المؤمنين الى الهجرة الى فلسطين، التي لا يمكن مقارنتها بالهجرة الى امريكا واستراليا من وجهة نظر اقتصادية ، لان فلسطين بلد فقير جدا، لا تتوفر فيه المصادر الطبيعية الكافية .

ويتضمن الفصل الثالث من الكتاب موضوع « الغرب ومستقبله » ،  
يتناول فيه هوفمان الوضع الدولي ، بصفته سياسيا ، منطلقا من المسألة  
الدينية التي هي محور تفكيره . يقول في هذا الصدد أن الحزب الوطني الحر ،  
Der Nationalliberden Partei ، في المملكة الألمانية ( ١٨٧٥ ) قد  
أهل للنور القيادي للدين ، « لأن مجرى تاريخ العالم تحركه أفكار روحية  
عميقة » .

ويكرس الفصل الأخير منه للمسألة الشرقية ، ويرى استحالة حل  
هذه المسألة بفن الدبلوماسية ، أو باللجوء الى القوة . أما الحل الذي يقترحه  
فحملة صليبية سلمية تضمن الاستعمار المسيحي للشرق ، وتقديم صورة حية  
حقيقية للشرقيين عن التدين والاخلاق المقرونين بالعمل ، وبخاصة بعد أن  
اتضح أن التبشير المسيحي بين المسلمين لم ينل احترامهم واهتمامهم .  
أما الكتاب الثاني لهوفمان فيتضمن ثلاث رسائل مفتوحة ،  
Sendschreiben ، نشرها خلال ١٨٧٧/١٨٧٨ . وقد أصدرتها مجلة  
الجمعية في كتاب واحد في شتوتجارت عام ١٨٧٨ بعنوان : « رسائل مفتوحة  
عن الهيكل ، والأسرار المقدسة ، وعقيدة الثالوث ، والوهية المسيح ، وأبوّة  
الله للشر .

Sendschreiben Ueber den Tempel und die Sakramente, das  
Dogma Ueber die Dreieinigkeit und von der Gottheit Christi,  
Sowie Ueber die Versoehnung der Menschen mit Gott,  
Stuttgart, Warte des Tempels, 1878. "

تناول هوفمان في هذه الرسائل عقائد الكنيسة بشأن الثالوث الأقدس ،  
وما قبل وجود المسيح ، وموت المسيح وعودته . وقد أحدثت الآراء التي  
نشرها انقساماً في صفوف جماعته . وأنشأت مجموعة منها في يافا جمعية  
أطلقت عليها اسم « مؤسسة الهيكل » Tempelstift « تولت إدارة

المدرسة والمستشفى في مستعمرة يانا .

ونشر هوفمان مقالات عديدة ونشرات كثيرة حول الدراسات التوراتية،  
والدروس الدينية للشباب . وتمكن من انجاز كتابة مذكراته التي نشرت  
بعنوان « طريقي الى القدس » ، Mein Weg nach Jerusalem .  
ونشر الجزء الاول منها في القدس عام ١٨٨١ بعنوان « ذكريات من شبابي »  
Erinnerungen aus meiner Jugend ، ونشر الجزء الثاني منها  
في القدس ايضا عام ١٨٨٤ بعنوان « ذكريات سنن الرشيد »  
Erinnerungen des Mannesalters .

ومن الجدير بالذكر ان هوفمان أصدر كتابا آخر في بداية اقامته  
في فلسطين بعنوان « اشعار واذان » ، Gedichte und Lieder ، صدر  
في شتوتجارت عام ١٨٦٩ .

اضطر هوفمان بسبب المرض الى العودة الى المانيا عام ١٨٨١، فتخلى  
عن رئاسة جمعية الهيكل، وتوفي في ٨ كانون الاول ١٨٨٥ (٤٧) .

اما جورج دافيد هارديج، رفيق هوفمان والزعيم الثاني لجمعية الهيكل،  
فقد شارك في تحرير مجلة الجمعية ، Sueddeutsche Warte ، منذ ان  
تعرف بهوفمان عام ١٨٤٨ . واصدر كتابين قبل الهجرة الى فلسطين هما:  
« الانجيل السرمدى » ، Das Ewige « Evangelium » و « وسائل لحل  
المسألة الاجتماعية » ، Mitteln Zur Loesung der Sozialen ، صدر  
في شتوتجارت عن دار كارل شولر عام ١٨٦٦ ، Frage, Verlag Von Carl  
Scholer ، كما أصدر آخر مؤلفاته عام ١٨٧٧ بعنوان : « المسألة

التركية

Die Tuerkische Frage Oder die sechste Zornschnale von einem  
Laien, Stuttgart, bei Messler Buchdrucker, 1877."

وتوفي هارديج في ١١ تموز ١٨٧٦ في حيفا (٤٨) .

### المستعمرات الألمانية في فلسطين والعلاقات الألمانية — العثمانية

ينبغي علينا، عند معالجتنا لموقف ألمانيا من المستعمرات الهيكلية في فلسطين، التمييز بين موقفين : موقف الحكومة الألمانية القيصرية، وموقف الرأي العام الألماني .

ففي ظل المنافسة القائمة بين الدول الأوروبية الكبرى على الشرق العربي، كان من المفروض أن تستغلّ الحكومة الألمانية وجود طائفة من مواطنيها في فلسطين لصالحها . غير أن دراستنا للوثائق الموجودة في الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية أفضت الى عكس هذا الافتراض ؛ فقد اتصف الموقف الرسمي الألماني من هذه المستعمرات بالتحفّظ، لاعتقاد المسؤولين الألمان أن النفوذ الذي يمكن لألمانيا أن تحققه من خلال دعمها لهذه المستعمرات، لا يساوي المصاعب التي قد تواجهها في علاقاتها مع الدولة العثمانية .

غير أن وزارة الخارجية الألمانية كانت عاجزة عن التصرف، انطلاقاً من الاعتبارات السياسية الصرفة ؛ إذ تدخلت عدة عوامل أدت الى تصرفها ، في كثير من الأحيان ، بصورة مناقضة لما اعتبرته مناسباً في العلاقات الألمانية — العثمانية . ومن أهم هذه العوامل التي أكرهت برلين على تقديم العون للمستعمرين الألمان في فلسطين، الرأي العام الألماني، والبلاط القيصري، ووزارة خارجية مملكة نورتمبرغ، والبحرية الألمانية .

كان الرأي العام الألماني أكثر هذه العوامل فاعلية ؛ فقد كان المستعمرون الألمان في فلسطين ينشرون تقارير في الصحف الألمانية بصورة

مبتدعة أحيائه ومنتظمة أحيانا أخرى عن نشاطاتهم . وكثيرا ما كانت هذه التقارير الصحفية تؤكد عداة السكان العرب والإدارة العثمانية لهم . وكانت الأوساط القومية الألمانية تتجاهل في البداية المبالغة الواردة في هذه التقارير ، غير أنها غضبت لتجاهل حكومة برلين للمعاملة القاسية التي زعم المستعمرون أنهم يعاملون بها من طرف السلطة العثمانية . والواقع أن اهتمام أوروبا المتزايد بالأحداث الجارية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر، صاحبه زيادة في كمية المعلومات المنشورة في الصحف المحلية عن تلك الأحداث . وقد استغل قادة جمعية الهيكل هذا الوضع أحسن استغلال ، إذ كانوا خبراء في هذا الميدان الإعلامي .

أما البلاط الملكي ووزارة الخارجية في مملكة فورتمبرغ فقد كانتا معاديين ، من حيث المبدأ ، لنشاطات جمعية الهيكل ، وذلك لاعتبارات دينية محضة . غير أن هذا الموقف الديني اتّجه إلى الاعتدال بعد انتشار الليبرالية في أوروبا بوجه عام وفي ألمانيا بوجه خاص ؛ وخفّ ، مع الزمن ، هجوم الهيكلين في مجلتهم *Sueddeutsche Warte* على الكنيسة الانجيلية والسلطة السياسية في فورتمبرغ (٤٩) . وأخذ العديد من أعضاء جمعية الهيكل يعودون إلى حظيرة الكنيسة الانجيلية حتى بلغ عدد هؤلاء عام ١٨٧٤ نحو ثلث أعضائها . وبدلاً من التطرف الديني ، نما شعور جديد في مملكة فورتمبرغ بأن على الوطن الأم واجب حماية ابنائه في ديار الهجرة ، وهم يتعرضون لإهمال البروسيين . ولم تعد حكومة شتوتجارت تقتنع بالاعتبارات التي اعتمدت عليها وزارة الخارجية في برلين في تعاملها مع المستعمرين الألمان في فلسطين .

وكانت القوات البحرية الألمانية المرتبطة مباشرة بالقيصر ذات نفوذ واسع ، وتلقى باستمرار تقارير من ضباط البوارج الحربية التي كانت

تتردد على الموانئ الفلسطينية . ولعل اهتمام القيصر فيلهلم الثاني بالبحرية زاد من أهمية هذه التقارير التي كان يقرأها القيصر نفسه، ويعلق عليها بخط يده . وكان معظم ضباط البحرية الألمان الذين يترددون على فلسطين يميل إلى قبول وجهة نظر المستعمرين الألمان، القائلة بأن برلين لم تبذل الجهد الكافي لحمايتهم ( ٥٠ ) .

وعندما طلب اصدقاء القدس ، Jerusalem Freunde ، من البندستاغ في فرانكفورت أن تتوسط النمسا وبروسيا ، العضوان في الاتحاد الألماني ، لدى السلطان العثماني للسماح لهم بالاستيطان في فلسطين ، رفضت الدولتان هذا الطلب بصورة قطعية ، وذهبت النداءات الشخصية الموجهة إلى مندوب بروسيا في الاتحاد ، أدراج الرياح ( ٥١ ) .

ولما سافر وفد جمعية الهيكل إلى فلسطين عام ١٨٥٨ لدراسة إمكانية الاستيطان فيها ، طلب من ملك بروسيا، فريدريش فيلهلم الرابع Friedrich Wilhelm IV ، الذي كانت تربطه بفلسطين صلات عاطفية دينية ، أن يزوجه بعدد من الخبراء الرسميين . وليس هناك ما يدل على استجابة ملك بروسيا لهذا الطلب ( ٥٢ ) .

ولما قرر الهيكليون عام ١٨٦٨ البدء بالاستيطان في فلسطين، طلبوا من جديد المساعدة من ملك بروسيا . وكان فيلهلم هوفمان، شقيق رئيس جمعية الهيكل ( كريستوف هوفمان )، يشغل آنذاك أعلى منصب كنسي في برلين General superintend ent ، وقسيس البلاط الملكي ، ولسه نفوذ كبير على ملك بروسيا . غير أن الملك طلب من وزارة الخارجية أن تتعرف على موقف حكومة نورتمبرغ من جمعية الهيكل قبل تقديم أية مساعدة لها . وجاء جواب وزير الخارجية في شتوتجارت في ١٦ أيلول ١٨٦٨ يقول أن آراء الجمعية ومواقفها المعادية من الكنيسة الانجيلية تجعلها

عنصرًا غير مرغوب فيه . كما أن الظروف الصعبة في فلسطين سوف تنهي مشروعها بالفشل (٥٣) . غير أن نفوذ فيلهلم هوفمان تغلب على رأي وزارة الخارجية في شتوتجارت، وصدرت التعليمات إلى الممثلين الدبلوماسيين البروسيين لدى الدولة العثمانية لتقديم العون للهيكليين . فبدلوا جهودًا كبيرة لحماية الهيكليين في حيفا . ولكن الهيكليين لم يرضوا عن تردد بروسيا في دعمهم ، وأصيبوا بخيبة أمل كبيرة (٥٤) .

وإذا استثنينا الدعم الذي قدمته برلين للهيكليين أثناء المفاوضات الأولى مع الباب العالي ، فإن المستعمرات الألمانية في فلسطين لم تتمكن من إثارة اهتمام حكومتها برلين وشتوتجارت خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٤ . أما على الصعيد الراي العام الألماني فقد حظي مشروع الهيكليين منذ بدايته بتأييد الصحافة الوطنية : ففي نهاية عام ١٨٦٨ نشرت صحيفة Augusburger Allgemeine Zeitung مقالة للبروفسور زيب Sepp ، مؤرخ الكنيسة والسياسي الألماني جاء فيها : « أن قيصر ألمانيا الكبير فريدريش بربروسا Friedrich Barbarossa قد قضى نحبه من أجل امتلاك الأرض المقدسة ، وترك للألمان واجب استعادة السيطرة على فلسطين العزيزة على قلب كل مسيحي . ولا بد أن تجد ألمانيا في نهاية المطاف نصيبها من الاستعمار ، ومن أجل هذه الغاية ينبغي تشجيع هجرة الألمان إلى فلسطين (٥٥) .

أما موقف السلطات العثمانية الذي كان معارضا لقيام المستعمرات الألمانية في فلسطين، فقد تغير منذ قيام الوحدة الألمانية عام ١٨٧١ . فوالى دمشق رشيد باشا ، الذي تعرف على نشاط الإنجيليين الألمان في بسرابيا ، كان يعطف على الألمان، حتى أنه وعد القنصل الألماني العام في بيروت بمنح الهيكليين قطعة من الأرض في حيفا هدية . وقام هارديج بزيارة الوالي

أثناء وجوده في بيروت، وعرض عليه خطة لاستغلال جبل الكرمل . فما كان من رشيد باشا إلا أن أرسل سكرتيره الخاص ليعد تقريرا عن المنطقة المطلوبة في عام ١٨٧١ . وكانت خطة هارديج تقوم على انشاء مصح على قمة الكرمل، وربطه بمسبح على شاطئ البحر . ورغم جهود القنصل الألماني فريدريش كيلر ، Friedrich Keller ، في سبيل تحقيق هذا المشروع ، امتنعت الحكومة العثمانية عن اصدار فرمان باهداء جبل الكرمل للهيليين (٥٦) .

وحدث تغيير في موقف وزارة الخارجية الألمانية من الهيليين بعد عام ١٨٧٥ . وكان السبب في ذلك المظاهرات التي قام بها المسلمون في فلسطين في أثناء الحرب البلقانية في ذلك العام . اذ خشى القناصل الاجانب قيام تحرك اسلامي ضد الاجانب في فلسطين ، وعلى رأسهم المستعمرون الالمان (٥٧) . وبناء على طلب الهيليين ، وافقت الحكومة الألمانية على ارسال بوارجها الحربية الى الموانئ الفلسطينية في مظاهرة عسكرية، القصد منها تطمين المستعمرين الالمان . وفي ٢ حزيران ١٨٧٧ اصدر وزير الخارجية الألماني فون بيلوف، Von Buelow ، تعليماته الى السفير الألماني في اسطنبول بالخطوة الاستثنائية التي اتخذتها الحكومة الألمانية . وجاء في هذه التعليمات : « وافق القيصر على طلب المستشار بسمارك ارسال قواتنا البحرية الى الشرق ، آخذا بعين الاعتبار الوضع الراهن هناك . . ان الهدف الاول للاسطول ظهور العلم الألماني في الموانئ التركية من اجل حماية رعايانا هناك، ومن اجل التعبير عن اهتمام حكومة القيصر برعاياها في ضوء قلقهم الناشئ عن الحرب . . . وحماية ارواحهم وممتلكاتهم، بالتدخل الفعال اذا اقتضت الضرورة ذلك » (٥٨) .

واصدرت وزارة الخارجية في برلين سلسلة من التعليمات الى

سفراتها في أوروبا لاقتناع الدول الأوروبية بأنه ليست وراء ارسال الاسطول الالماني الى الموانئ العثمانية اية دوافع سياسية ، وان السبب الوحيد هو الدفاع عن الرعايا الالمان في الشرق (٥٩) .

اما على الصعيد المحلي في فلسطين، فقد شمر المستعمرون الالمان في شباط ١٨٧٧ ، بينما كان مئات الشباب من المسلمين يتجهون الى يافا وحيثما للسفر الى سالونيك للمشاركة في القتال، انهم قد يتعرضون للاذى . وقام وكيل ضابط سابق الماني بتدريب الشباب الالمان على التمارين العسكرية في مستعمرة سارونا . وطلب هوفمان من القيصر حماية المواطنين الالمان من اي اعتداء محتمل من جانب المسلمين . وفي يوم عيد الفصح من عام ١٨٧٧ ارسى الطراد الالماني غاتسيله ، Gazelle ، في ميناء يافا . وكان عليه اربعمئة جندي وثمانية عشر مدفعا . وكان يقود الطراد الامير فون هاكه ، Graf Von Hacke ؟ وجاء هوفمان ومثلون عن الهيكلين الى ميناء يافا لتقديم شكرهم لقائد الطراد لحماية الحكومة الالمانية لمواطنيها . ولما رد قائد الطراد على زيارة هوفمان ورفاقه بزيارة مستعمرة سارونا ، اقام المستعمرون الالمان الاحتفالات الضخمة بهذه المناسبة . وحدث شيء مماثل لذلك عندما زار الطراد نفسه ميناء حيفا في الفترة نفسها . وفي صيف العام نفسه قامت اربع بوارج حربية المانية بزيارة الساحل السوري والفلسطيني (٦٠) .

وبدأت بعد هذه المظاهرة العسكرية مرحلة من العلاقات الودية بين الهيكلين والحكومة الالمانية، واستجابت الحكومة الالمانية لطلب الهيكلين بدعم مدارسهم في فلسطين، فقدمت وزارة الخارجية الالمانية مبلغ ٣٧٥٠ ماركا منحة سنوية لهذه المدارس . وكان هذا المبلغ يعادل ربع الموازنة السنوية لتلك المدارس . ومن الجدير بالذكر ان هذه المنحة هي المعونة

المالية الرسمية الوحيدة التي قدمتها الحكومة الألمانية للهيكلين منذ بداية مشروعهم الاستعماري في فلسطين عام ١٨٦٨ وحتى عام ١٩١٨ .

وفي عام ١٨٨٠ سعى الهيكليون الى اعتراف الحكومة العثمانية بالتنظيم الاداري المستقل لمستعمراتهم . وايدهم في هذا المسعى القنصل الألماني العام في القدس مينشهاوزن ، Muenchhausen ؛ غير ان مساعدهم باء بالفشل . كما فشلت محاولتهم لدفع وزارة الخارجية الألمانية الى للتوسط لدى الحكومة العثمانية لتوسيع حقوق الاجانب المقيمين في الولايات العثمانية (٦١) . وحدثت أزمة عنيفة بين الهيكلين والحكومة الألمانية سببها الخدمة العسكرية في المانيا ؛ ذلك ان عددا قليلا من المستعمرين الألمان قد أتم الخدمة العسكرية الاجبارية في المانيا قبل الهجرة الى فلسطين ؛ وكان هؤلاء يتمتعون بالجنسية الألمانية وفقا للقانون الألماني . اما الذين كانوا دون سن السابعة عشرة عندما غادروا المانيا، ولم يعودوا اليها للقيام بالخدمة العسكرية، فقد كان من الصعب منحهم حقوق المواطنة الألمانية . ومن المعروف ان العديد من الألمان وغيرهم قد دخل في حماية القنصليات الألمانية في فلسطين، إما بصفتهم مواطنين يتمتعون بحق المواطنة الألمانية ، Reichsangehoerige ، وإما بصفتهم رعايا تحت الحماية ، Schutzgenossen . وفي عام ١٨٨٠ اصدر المستشار الألماني بسمارك تعليمات الى القناصل الألمان في الدولة العثمانية يطلب فيها رفع الحماية عن من يقض الخدمة العسكرية في الجيش الألماني .

ودخلت الأزمة مرحلتها الحرجة اثر وصول خليفة القنصل مينشهاوزن، الدكتور رايتس ، Reitz ، الى القدس عام ١٨٨١ ؛ فقد بدأ يدعس الهيكلين الى مكتبه واحدا بعد الآخر، ويتهممهم بان القصد من مشروعهم الاستعماري في فلسطين هو التهرب من الخدمة العسكرية في الجيش

الالمانى . ولما حاول رايتس ان يرفع الحماية عن بعض الهيكلين، ثار غضب هوفمان زعيمهم ، وبعث باحتجاج شديد اللهجة الى المستشار الالمانى . وقال في رسالته الاحتجاجية هذه : اذا كان رايتس يتصرف بناء على تعليمات من وزارة الخارجية، فان الهيكلين سوف يبحثون عن دولة اخرى للدخول في حمايتها ، وربما اضطروا الى الانتقال الى بلد آخر . ورجا هوفمان المستشار الالمانى ان يعتبر العمل في المستعمرات الالمانية نسي فلسطين، ولعشرين سنة قادمة، كخدمة عسكرية . وطلب تعديل قانون الخدمة العسكرية الالمانى، بحيث يأخذ بعين الاعتبار وضع الهيكلين في فلسطين . فاذا تعذر ذلك طلب هوفمان ابقاء الوضع كما هو عليه حتى عام ١٨٨٤، ليتمكن الهيكليون من ايجاد حل آخر (٦٢) .

وجاء رد المستشار الالمانى ليؤكد ان تصرفات رايتس مبنية على تعليمات تلقاها من وزارة الخارجية الالمانية ، وانه من المتعذر استثناء الهيكلين في قانون الخدمة العسكرية . ولكنه اعترف بحقهم في التمتع بالحماية القنصلية الالمانية ، شريطة ان يطبق عليهم قانون الخدمة العسكرية اعتبارا من عام ١٨٨١ (٦٣) . ومنذئذ شرع الهيكليون يرسلون ابناهم الى المانيا للقيام بالخدمة العسكرية هناك، ومدتها ثلاث سنوات (٦٤) .

وحدث تغير مهم في السياسة الالمانية نحو الدولة العثمانية في الثمانينات من القرن التاسع عشر ؛ ففي عام ١٨٨٠ لبي المستشار الالمانى بسمارك طلب السلطان العثماني بتزويد بلاده بالخبراء الماليين والعسكريين .

وبدأت المانيا منذئذ الغزو الاقتصادي، *Penetration Pacifique* ، للدولة العثمانية . واصبح دعم الدولة العثمانية وتقويتها ، على امل ان تكون في يوم ما حليفة لالمانيا ، هدفا مهما من اهداف السياسة الخارجية الالمانية . واستقدمت الدولة العثمانية العديد من الخبراء العسكريين

والاداريين الالمان . واخذ الشباب العثماني يتردد على المعاهد العسكرية والعلمية الالمانية . وبدأ بنك فلسطين الالمانى Deutsche Palaestina Bank نشاطه في القدس، ثم فتح فرعاً له في يافا وآخر في حيفا . واخذت البواخر الالمانية تتردد بانتظام على الموانئ العثمانية . وتأسست في عام ١٨٨٩ شركة بواخر الشرق الالمانية ، die Deutsche Levante-Linie وبدأت رحلاتها بأربع باخرة، ثم ما لبثت أن زادت عدد باخرها الى العشرين في مطلع القرن العشرين (٦٥) . وفي عام ١٨٨٨ حصلت شركة المانية على امتياز مد سكة حديد الاناضول (٦٦) .

وفي العام نفسه اعتلى عرش المانيا القيصر فيلهلم الثاني . وبعد عام من ذلك قرر أن تكون اول زيارة له خارج المانيا الى السلطان العثماني . وقد اعجب القيصر بآراء السفير الالمانى في اسطنبول البارون هاتسفيلد Baron Hatzfeld ، ( ١٨٧٩ - ١٨٨١ ) بشأن التعاون الالمانى - العثماني . فقد رأى هاتسفيلد أن فرنسا تمتعت بوضع متفوق في الدولة العثمانية حتى حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ ، وأن انجلترا، التي حاولت الحلول محل فرنسا، قد اثارت شكوك الاتراك بها بعد أن ضمت قبرص اليها عام ١٨٧٨، واحتلت مصر عام ١٨٨٢ . وينتهي السفير الالمانى السابق الى القول إن فراغاً قد وجد نتيجة لذلك، ولا بد لقوة اوروبية من ملئه ، وإن المانيا هي الدولة المؤهلة لملء هذا الفراغ (٦٧) .

في نطاق الانفتاح العثماني على المانيا، ورغبة هذه الاخيرة في توسيع علاقاتها مع الدولة العثمانية، لم يكن للهيكلين الاثر ضئيل جداً في هذا المجال ؛ اذ حرصت برلين على ازالة مخاوف العثمانيين من تجسس الاجانب على اراضيهم ، كما ان فلسطين تقع خارج نطاق المصالح الالمانية التي تركزت على طول سكة حديد بغداد .

لقد دار جدل طويل في اوساط وزارة الخارجية الالمانية حول موقف الحكومة الالمانية من الاستيطان الالماني في الدولة العثمانية على ضوء التطورات الجديدة . ففي عام ١٨٩١ طلب خليفة بسمارك، المستشار كابريني، Caprivi من وزارة الخارجية ابداء رأيها في اقتراح تقدم به السلطان العثماني الى القيصر نيلهم الثاني، يتضمن انشاء مستعمرات المانيية على طول سكة حديد بغداد . وكانت اول مذكرة من وزارة الخارجية تناولت هذا الاقتراح قدّماها الهر كيدرلين، Kiderlen من الدائرة السياسية في الوزارة . وقد بنى كيدرلين تحليله على تجربة الهيكلين في فلسطين . وجاء في مذكرته هذه :

« ان المستعمرات الالمانية في فلسطين لا تقدم لنا مثالا مشجعا . فالمستعمرون يكسبون قوتهم بصعوبة ، ويتعرضون لعداء السكان المحليين والسلطات التركية . واذا كان المستعمرون المقترح توطينهم في آسيا الصغرى من الالمان، فسيواجه تناصلا التضرر الدائم من السلطات المحلية، كما ستواجه سفارتنا تدخل الباب العالي المستمر . وهذا امر لا بد من اخذه في الحسبان . وقد يدمر علاقاتنا الطيبة مع الاتراك بدلا من ان ينميها . والمستعمرات في فلسطين خير مثال على ذلك » (٦٨) .

وقدم مدير الدائرة الاستعمارية في وزارة الخارجية الهر كايـزر Kayser مذكرة مماثلة للمذكرة السابقة . يتبين لنا من هاتين المذكرتين ان وزارة الخارجية الالمانية كانت ترى في مستعمرات الهيكلين في فلسطين مثالا سيئا، وسببا دائما لتهديد العلاقات الالمانية — العثمانية بالتدهور . والواقع ان شكاوى الهيكلين اثارت غضب السلطات العثمانية ؛ كما ان وجود المستعمرات الالمانية في فلسطين اثار حفيظة الدول الاوروبية ضد المانيا . ولم تكن فلسطين، بامكانياتها المحدودة، البلد القادر على تلبية

احتياجات ألمانيا ، فلا هي مصدر مهم للمواد الأولية، ولا هي سوق واسعة قادرة على استيعاب منتجات ألمانيا . ولذلك لم يكن فيها ما يستحق اهتمام ألمانيا الحقيقي في هذه الفترة .

ولعل أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر، زيارة القيصر الألماني فيلهلم الثاني، في تشرين الأول عام ١٨٩٨ وهي زيارته الثانية للشرق . وكان الغرض المعلن من هذه الزيارة الحج إلى الأماكن المقدسة : ففي ٢٥ تشرين الأول من ذلك العام، أرسدت ثلاث بوارج ألمانية تُقلّ القيصر وحاشيته في ميناء حيفا . وفي صباح اليوم التالي تجمّع كافة أفراد المستعمرة الألمانية في حيفا في باحة القنصلية الألمانية من أجل تحية القيصر . وقام فريدريش لانج ، Friedrich Lange ، رئيس الجماعة الهيكلية في حيفا ( ومؤرخ الجمعية )، بالقاء كلمة في حضرة القيصر، شكره فيها على الدعم والمؤازرة التي يلقاها الهيكليون من القيصر، وبخاصة في ميدان التعليم . وأكد على ضرورة توثيق الصلات بين الهيكلين والوطن الأم . وردّ القيصر عليه بالاعراب عن سعادته إذ يرى في قلب الأرض المقدسة مستعمرة ألمانية لها علاقات وثيقة بالوطن الأم، وقال بأنهم سوف ينقل إلى ملك فورتمبرغ ما حققه مواطنوه من إنجازات ؛ وأكد حمايته لكافة الألمان . كما التقى الدكتور شوماخر ، Dr. G. Schumacher ، ابن أحد قادة الجمعية، كلمة في حضرة القيصر أشار فيها إلى قيمة الأبحاث العلمية الألمانية عن فلسطين وأحوالها (٦٩) . وتجوّل القيصر في المستعمرة، ثم اتجه إلى يافا ومنها إلى القدس . وخلال سفره الذي استغرق يومين، زار القيصر مستعمرات يافا وسارونا وريفنايم، حيث استقبل اسمعيل حافلا (٧٠) .

وفي أثناء هذه الزيارة أصبحت فلسطين والمستوطنون الألمان فيها موضوع الساعة في ألمانيا . وتأسست في شتوتجارت في تشرين الأول ١٨٩٩

« جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين » Gesellschaft Zur

« Foerderung der deutschen Ansiedlungen in Palaestina »

تحت رعاية البارون فون ايليريكسهـاـوزن ، Freiherr Von

Ellerichshausen ، من اجل تزويد الجمعية بالتبرعات المالية لتوسيع

نشاطها وشراء المزيد من الارض . وتولى ادارة الجمعية الامر فون اوراخ،

K. Von Urach ، بينما تولى رئاستها الفخرية النائب العام في المملكة

الدكتور فون روب ، Von Rupp ؛ وتمكنت هذه الجمعية من جمع مبلغ

ثلاثمئة الف مارك،حوّلت الى جمعية الهيكل،فاشتريت به قطعة من الارض

مساحتها ثمانية كيلومترات مربعة بالقرب من اللد،غير بعيد عن سكة حديد

يانا - القدس . وانشأت عليها مستعمرة فيلهلما Wilhelma (٧١) .

وإذا كانت زيارة القيصر لفلسطين قد بعثت الحماس في نفوس سكان

مملكة نورتمبرغ،فانشأوا جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين ،

فلم يتجاوز دعم القيصر للهيكليين اعجابه بمنجزاتهم،وتعاطفه معهم،ووعده

لهم بأن يسمي لدى السلطات العثمانية لتعاملهم المعاملة التي

يستحقونها (٧٢) . واذا عدنا الى وثائق الارشيف السياسي لسوزارة

الخارجية الألمانية لمعرفة نتائج زيارة القيصر هذه ، لم نجد فيها ذكرا أو

اشارة للمستعمرات الألمانية في فلسطين ، فقد لخص نتائج هذه الزيارة

القائم بالاعمال الألماني في اسطنبول في تقرير بعث به الى وزارة

الخارجية (٧٣) ، ووُزعت نسخ من هذا التقرير ، بناء على أوامر القيصر،

الى كافة السفارات الألمانية في العالم ؛ وقد ورد في هذا التقرير أن الدافع

الاول لزيارة فلسطين هو دافع ديني . ولم ترد فيه أية اشارة للمستعمرات

الألمانية فيها . والواقع أن زيارة القيصر لفلسطين لم تُحدث أي تغيير في

السياسة الألمانية الرسمية نحو المستعمرات الهيكلية ؛ غير أن فلسطين

بقيت منذئذ موضوع اهتمام الرأي العام الألماني ؛ فقد اثار الوصف

الحماسي للمستعمرات موجة من التعاطف الشعبي، ساعدت المستعمرين على التغلب على المصاعب التي واجهوها، وبناء ثلاث مستعمرات جديدة . غير أن الأموال اللازمة لبناء هذه المستعمرات جُمعت من مواطني مملكة نورتمبرغ وحدها (٧٤) . وذهبت جهود جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين من أجل الحصول على تعاون القيصر الألماني لشراء الأسهم في المؤسسة المالية التي أنشأتها ، سدى . هذا وقد لقيت الجمعية المذكورة اهتماما خاصا في مملكة نورتمبرغ ، ففي عام ١٩١٠ طلب وزير خارجية المملكة من ممثلها في برلين أن يتوسط لدى وزارة الخارجية الاتحادية لتضغط على الدويتش بانك ، Deutsche Bank ، لمنح جمعية الهيكل قرضا مقداره مئة ألف مارك، للحفاظ على الطابع الألماني لمستعمرة سارونا، وتطوير مستعمرتي فيلهلما وبيت لحم في الجليل . وبينما كانت المساعي جارية للحصول على القرض المطلوب، انفتحت حكومة برلين مبلغا يساوي عشرين ضعف هذا المبلغ على مؤسسة القيصرة أوغستا فكتوريسكا، Kaiserin Auguste Victoria Stiftung في القدس التي أنشئت تخليدا لزيارة زوجة القيصر للمدينة المقدسة (٧٥) .

ومع مد سكة حديد الحجاز بموqيام الفرنسيين بمد السكك الحديدية في فلسطين، ازداد قلق الهيكليين، وشعروا أن البلاد تكاد تقع تحت النفوذ الفرنسي . وفي صيف عام ١٩١٢ قام وفد من جمعية الهيكل في فلسطين، مؤلف من رئيسها كريستيان روهرر Christian Rohrer ، وفوتليب شوماخر Gottlieb Schumacher ، بزيارة شتوتجارت وبرلين للسمي لدى حكومة نورتمبرغ وحكومة برلين الاتحادية لتجنّب وقوع فلسطين في منطقة النفوذ الفرنسي . وفي آب ١٩١٣، قدّم الوفد مذكرة إلى سون روزنبرغ ، Von Rosenberg ، مدير الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية في برلين ؟ وسأل شوماخر المسؤول الألماني عن مصير المستعمرات

الالمانية في حالة قبول المانيا بوقوع فلسطين تحت الهيمنة الفرنسية .  
وتضمنت مذكرة الوفد الهيكلي اشارة بدور المستعمرين الالمان في تطوير  
فلسطين، ورفع سمعة المانيا . كما اقترحت ايجاد حلّ لمستقبل فلسطين  
تقبل به الدول الكبرى ، وذلك بأسرع وقت ممكن، وقبل ان يفوت الاوان .  
واقترح شوماخر في هذا الصدد وضع فلسطين ( من الحدود المصرية الى  
راس الناقورة شمالا، وحتى سفوح جبل الشيخ شرقا ) تحت حكم امير  
أوروبي . وبّرر اقتراحه هذا بأنه لا يتعارض والمصالح البريطانية  
والروسية في المنطقة . واقترح بالمقابل منح فرنسا المنطقة الواقعة شمال  
فلسطين دون الاضرار بمصالح الدول الكبرى فيها (٧٦) .

وسمى الوفد لدى وزارة خارجية ملكة نورتمبرغ لقبول مقترحاته  
السابقة الذكر ، فأيدتها، وطلبت من ممثلها في برلين ان يجسّ نبض وزارة  
الخارجية الاتحادية . نجاء الرد : ان سورية لا تقع في منطقة اهتمام المانيا،  
لانها بعيدة عن سكة حديد بغداد (٧٧) . وهكذا خابت آمال الوفد الهيكلي  
من موقف حكومة برلين ، وعاد الى فلسطين خالي الوفاض . وجاءت  
الاتفاقية الفرنسية - الالمانية لعام ١٩١٤ (٧٨) لتؤكد اعتراف المانيا  
بوضع فرنسا الخاص في فلسطين، وبخاصة في موضوع بناء السكك  
الحديدية .

غير ان فكرة فصل فلسطين عن الدولة العثمانية ووضعها تحت  
الهيمنة الأوروبية، لم تغب عن ذهن بعض المسؤولين الالمان ، فقد اقترح  
السفير الالمانى في اسطنبول، في رسالة بعث بها الى المستشار الالمانى الامير  
فون هيرتلنج ، Graf Von Hertling ، انشاء ملكة في فلسطين  
لحل مسألة الأماكن المقدسة ، معتقدا بأن هذا الحل سوف يرضى  
المسيحيين واليهود في العالم ، شريطة ايجاد حلّ مرضٍ للأماكن المقدسة

الاسلامية في القدس (٧٩) . وكان القنصل الالماني العام في القدس الدكتور بروده Brode ، قد اقترح على السفير الالماني في اسطنبول اقامة مملكة صغيرة في القدس تضم بيت لحم جنوبا، وتمتد الى نهر الأردن والبحر الميت شرقا، والى قرية رام الله شمالا ، وان يعتلي عرشها امير كاثوليكي الماني؛ شريطة ان تبقى هذه المملكة تحت السيادة العثمانية الاسمية ، وان تُدفع للخزينة العثمانية مليون جنيه استرليني ، وان يُحتفظ المسلمون والمسيحيون واليهود باماكنهم المقدسة فيها . واقترح بروده ايضا ان تسعى الحكومة الالمانية لدى الباب العالي للتوسع في الاستعمار اليهودي في فلسطين، ومنح اليهود حكما ذاتيا في البلاد (٨٠) . والواقع ان هذه المقترحات قد جاءت في فترةٍ بَلَغَ النشاط الصهيوني في المانيا اوجه من اجل الحصول على وعد رسمي من الحكومة الالمانية مماثل لتصريح بلفور .

يتضح مما سبق ان الحكومة الالمانية لم تُسَعِّ الى تحقيق اية مطالب علنية او سرية في فلسطين، منذ قيام الرايخ الالماني عام ١٨٧١ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ ؛ كما انها لم تستغلَّ عنصر المستعمرين الالمان لاغراضها السياسية في البلاد .

### علاقات المستعمرين الالمان بالسكان العرب

اتَّسَهت العلاقات بين المستعمرين الالمان والسكان العرب في فلسطين بالشك والريبة والحذر . لقد أدرك كريستوف هوفمان اثناء رحلته الاستطلاعية الى فلسطين عام ١٨٥٨، ان مشروعه لن يحظى بتأييد السلطات العثمانية فحسب ، وانما سيواجه مقاومة حقيقية من جانب السكان العرب، الذين يشكل المسلمون اكثر من ٩٠٪ منهم (٨١) .

ولما بدا استيطان الهيكلين في فلسطين، كانوا يحملون افكارا واضحة

عن العداء العربي لهم . وساهمت أحداث فلسطين في تشدد كل فريق في موقفه . وأدرك العرب ان الهيكلين الالمان ليسوا كبقية المقيمين الاجانب في فلسطين ؟ فمشروعهم ليس خريا كمشاريع الارساليات التبشيرية المنتشرة في البلاد . واكتشفوا ايضا ان الالمان قد جاؤوا الى البلاد تاركين اوطانهم بهدف واحد هو الاستيلاء على اراضيهم وامتصاص دمائهم (٨٢) . ولذلك كان من المتعذر على مشروع الاستيطان الالمانى ان يكسب قلوبهم . وخلافنا لما كان يعتقد او يزعمه الالمان لم تساهم انجازاتهم في فلسطين الا في بعث كراهية العرب لهم (٨٣) . ونظر الالمان ، بالمقابل ، الى العرب نظرة استعلاء وتفوق ، فزادت من توتر العلاقات بين الفريقين (٨٤). وكان قادة جمعية الهيكل يخشون الاختلاط بالسكان العرب والذوبان في المجتمع المحلي ؛ فهم « شعب الله » المكلف ببناء مملكة الرب في القدس . لذلك تحاملوا على العرب دوما ، وبرروا هذا التحامل في المقالات التي كانوا ينشرونها في مجلتهم *Sueddeutsche Warte* : فالشرقي في نظرهم « وقح متعجرف بالطبيعة ، يمارس السرقة والاستجداء ، ولا يحني هامته الا للقوة والمال » (٨٥) .

وكان قادة الجمعية يحذرون اعضاءها من التزاوج مع العرب . واستغلوا حالة زواج فاشلة بين فتاة المانية وشاب مسيحي عربي في دعايتهم هذه . وكانوا يقولون « من الامضل للالمانيات ان يبقين عوانس من ان يلقين بانفسهن في احضان الرعاع » . (٨٦)

ولم يُخفِ كريستوف باولوس الذي خلف هوفمان في رئاسة جمعية الهيكل بين عامي ١٨٨٤ و ١٨٩٠ ، والذي كان من اتباع الفلسفة الانسانية، احتقاره للعرب . وحينما تكونت شركة للنقل بين يانا والقدس من الالمان والعرب واليهود عام ١٨٨٤ ، واوكل تنظيمها الى الالمان، كتب

بولوس بهذا الصدد يقول : « تعتبر هذه الاتفاقية نصرا للأمة الألمانية على دسائس العرب واليهود القذرة . لقد أمكن قيام الشركة لان ادارتها والاشراف على ماليتها قد اوكلا الى الالمان،الذين تعترف كافة الاطراف بأمانتهم ومثابرتهم على العمل . دعنا نأمل أن يكون لهذا الانجاز الذي حققته النزاهة الألمانية ، تأثير ايجابي على السكان المحليين . ويمكن اعتبار هذا العمل الانموذجي عملا تبشيريا ، لان الهيكليين يؤمنون بأن على الشعب الذي يتوجه اليه المبشرون،أن يتحول الى كائنات بشرية قبل أن ينظـر في امر تنصيره » . (٨٧)

ازاء هذه النظرة الاستعملائية العرقتية ،لا عجب اذا عجز الهيكليون عن الوصول الى قلوب العرب،واقامة علاقات طيبة معهم .وقد اعترف بهذا الوضع السفير الالماني في اسطنبول،مارشال فون بيبيرشتاين—، Marschall Von Bieberstein « في رسالته التي بعث بها الى المستشار الالماني فون بيلوف ، Von Buelow ، والمؤرخة في ٨ ايار ١٩٠٩ ، والتي اقتبس فيها أقوال نائب القنصل الالماني في حيفا (٨٨) .

ورغم حالة الشك والحذر والكراهية التي سادت العلاقات بين المستعمرين الهيكليين والعرب في فلسطين ، لم تحدث خلال الحكم العثماني سوى حادثة قتل واحدة،ذهب ضحيتها أحد هؤلاء الالمان،وبسبب استفزازي . وكان سبب الحادثة التي تمت عام ١٩١٠ ، مقتل أحد فلاحي قرية الطيرة (قرب حيفا ) على يد أحد الالمان من مستعمرة حيفا ،في أثناء اقدم الأول على السرقة من المزرعة الالمانية . وثأر اهل القتل لقتيلهم،وهاجموا في اليوم التالي للحادث أحد الالمان،واسمه فريتس أونجر، Fritz Unger ، في مستعمرة نويهاردتفوف وأردوه قتيلا (٨٩) .

وخشي المستعمرون الالمان اعتداء المسلمين عليهم في أثناء الحرب

البلقانية ( ١٨٧٥ - ١٨٧٨ ) ، وطلبوا الحماية من حكومتهم ؛ فمات هذه أن تبعث ببوارج حربية الى الشواطئ الفلسطينية . فكانت خطوة لا سابقة لها .

وشعر المستعمرون الالمان بضيق شديد عندما أخذ العرب ينافسونهم في الميدان الاقتصادي ؛ فقد حل العرب محل الناقلين الالمان بالشاحنات على طريق حيفا - عكا ، كما الحقوا اضرارا كبيرة بشركة السفريات الالمانية على طريق يافا - القدس ، بتخفيض اجور السفر . وواجه الجرفيون الالمان منافسة مماثلة من العرب . وزاد من كراهية العرب للمستعمرين الالمان واليهود حماية الدول الاوروبية الكبرى لهم . ولم يشعر العرب في يوم من الايام بأن وجود المستوطنين الالمان او غيرهم فيه اية فائدة لهم (٩٠) .

### علاقة المستعمرين الالمان بالطائفة اليهودية

اتخذت جمعية الهيكل موقفا عدائيا من اليهود واليهودية قبل استيطان افرادها في فلسطين ، لاعتبارات دينية محضة . غير أن هذا الموقف تبدل بعد استيطان الهيكليين في فلسطين ، ولم يترددوا في التعاون مع المهاجرين اليهود والمستعمرات اليهودية لمواجهة المجتمع العربي المناهض لهم . وأخذ هذا الموقف يتغير مع قدوم آلاف اليهود من شرق أوروبا في منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وذلك بسبب منافسة المستعمرين اليهود الجدد لهم في الميادين الاقتصادية .

فقد كان هوفمان ، مؤسس جمعية الهيكل ، يعتقد أن الأرض المقدسة ينبغي أن تكون ملكا لشعب الله ، وأن الله كان ينوي في البداية منح هذه البلاد للشعب اليهودي ، غير أن هذا الشعب غرق في الفساد والرذيلة ، ولم يعد شعبا مقدسا . الهيكليون وحدهم هم الذين أوجدوا الشعب المقدس الجديد « شعب الله » . وتأكد هذا الاعتقاد لدى هوفمان عند

زيارته لفلسطين عام ١٨٥٨، ورأى « حالة اليهود السيئة، وكسلهم وعجزهم عن تخليص البلاد من حالتها المتدهورة » . ووجد الألمان في بدايات استيطانهم مبررا للتفاهم مع الأقلية اليهودية، للتخلص من العزلة التي يعيشونها (٩١) .

أما بالنسبة إلى اليهود ، فقد حاول زعماء هواة صهيون « حوفيني تسيون » (٩٢) الاستفادة من تجربة المستوطنين الألمان في المستعمرات الزراعية ؛ وكانوا يترددون عليهم محاولين تجنب الأخطاء التي وقعوا فيها . وحينما بدأت الهجرة اليهودية المنظمة الأولى ( ١٨٨٢ — ١٩٠٤ ) التي تألفت من موجتين كبيرتين هما: الأولى ( ١٨٨٢ — ١٨٨٤ )، والثانية ( ١٨٩٠ — ١٨٩١ )، بدأ موقف المستوطنين الألمان يتغير . وكانت المنافسة الاقتصادية وراء هذا الموقف المعادي . صحيح أن نوعية الإنتاج اليهودي من الحرف والصناعات الخفيفة كانت أدنى من نوعية الإنتاج الألماني، إلا أن انخفاض أسعار الإنتاج اليهودي جعل من الحرفيين والصناع اليهود منافسين خطرين للألمان (٩٣) .

وشعر المستعمرون الألمان بالخطر الحقيقي حينما طلب ثيودور هرتسل ، Theodor Herzl ، في آب ١٨٩٧ من أعضاء المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة هازل السويسرية، الموافقة على برنامج الحركة الصهيونية . ومنذ أن صدرت صحيفة « العالم ، Die Welt » الناطقة بلسان الحركة الصهيونية في حزيران ١٨٩٧ ، شعر الهيكليسون أنهم يواجهون حركة سياسية يهودية منظمة، تؤكد صحيفتها كل يوم على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومنذ مطلع عام ١٩٠٨ شنت صحيفة الهيكليين Sueddeutsche Warte هجوما على الحركة الصهيونية، وعلى مختلف أوجه نشاطاتها . وكان يقود

هذه الحملة فريتس لورخ ، Fritz Lorch ، أحد الالمان المولودين في فلسطين، والذي انتقل الى شتوتجارت ليعمل في صحيفة الجمعية . وقد أبرز لورخ عدم ولاء الصهاينة للدولة العثمانية وتعاونهم مع بريطانيا من أجل تمزيق اشلانها . اما الصهاينة فقد حاولوا التقرب من المستوطنين الالمان والتفاهم معهم، حرصا منهم على تجنب الصدام مع الامبراطورية الالمانية الناشئة. وامتنعت صحيفة « دي فيلت » الصهيونية عن الرد على حملة لورخ الاعلامية (٩٤) :

وبمناسبة انتقال صحيفة الهيكليين Sueddeutsche Warte من شتوتجارت الى القدس في كانون الثاني عام ١٩١٢، نشرت صحيفة « دي فيلت » مقالا مطولا طالبت فيه المستوطنين الالمان ان يبذروا مزيدا من التفهم نحو المصالح المشتركة لليهود والالمان . واكد المقال على الفوائد التي تد يجنيها المستوطنون الالمان والامبراطورية الالمانية من المهاجرين اليهود، الناطقين باللغة الالمانية، والذين يفضلون اقامة علاقات تجارية مع المانيا (٩٥) .

ومن الجدير بالذكر ان المانيا ، في هذه الفترة ، كانت مقرًا لمعظم المؤسسات والمراكز التابعة للحركة الصهيونية . وانساق المستوطنون الالمان وراء سياسة المانيا الرسمية منذ عام ١٩١٣ ؛ تلك السياسة التي كانت تحبذ الاستفادة من الوجود اليهودي في فلسطين من أجل تنمية المصالح الالمانية فيها . وشهدت العلاقات بين الاقليتين: الالمانية واليهودية، تحسنا ملحوظا عشية قيام الحرب العالمية الاولى (٩٦) . غير ان هذا التحسن في العلاقات كان مؤقتا ولفترة قصيرة جدا .

## المصادر :

- Hajjar, J. : L'Europe et les Destinees du Proche Orient, ( ١  
Bloud and Gay, Belgium, 1970, pp. 326-7
- Hyamson, A.M.: British Projects for the Restauration of  
Jews to Palestine, in "Publications of the American  
Jewish Historical Society", 1918, No. 2, pp. 129-131.
- Hajjar, J. : op. cit, pp. 327-8 ( ٢
- Hyamson, A.M. : op. cit, p. 136, Hajjar, J. : op. cit, p. 329 ( ٣
- Tibawi, A.L. : British Interests in Palestine, ( ٤  
Oxford University Press, London, 1961, p. 33
- Hyamson, A.M. : The British Consulate in Jerusalem in  
relation to the Jews of Palestine (1838-1914)  
London, 1939, vol. I, p. 45
- ٥ ( ولد موسى مونتفيوري عام ١٧٨٤ في ليفورن Livourne . ونجح في حياته كرجل  
اعمال يهودي . واصبح نبيلاً بسبب صلة النسب بأسرة روتشيلد في بريطانيا . وانسحب  
في عام ١٨٢١ من أعمال التجارة، وكرس حياته للأعمال الخيرية الاجتماعية المتعلقة باليهود.  
وقام بمدة زيارات لفلسطين بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٢٥ .
- Loewe, L.(ed.):Diaries of Sir Moses and Lady Montefiore,  
London 1890, vol. I, pp. 165 ff.  
Hajjar, J. : op. cit, p. 327.
- Hajjar, J. : op. cit, pp. 330-331 ( ٦
- ٧ ( هول تفصيل اقامة مولتكه في اسطنبول انظر :
- Moltke, Helmuth von : Briefe ueber Zustaende und  
Begebenheiten in der Tuerkei aus den Jahren 1835  
bis 1839, Berlin, 1893.
- Wagner, R. : Moltke und Muehlbach zusammen unter ( ٨  
dem Halbmonde (1837-1839), Berlin, 1893.
- Moltke, Helmuth von : Vermischte Schriften, Berlin, 1892,  
Bd. 2, pp. 279-288.

Lewin, E : The German Road to the East, William Heinemaun, London, 1916, pp. 22-3.

Hajjar, J. : Op. Cit., P. 369.

Geschichte der Deutschen Evangelischen Kirche und Mission im Heiligen Lande, p. 4. ( ٩

Tibawi, A. L. : Op. cit, pp. 44-5.

Richter, J. : A History of Protestant Missions in the Near East, A.M.S. Press, New York (1970) Reprinted Edition of 1910, p. 237.

Brugger, Hans : Die deutschen Siedlungen in Palaestina, Bern, 1909, pp. 11-12. ( ١٠

Carmel, Alex : Geschichte Haifas in oer tuerkischen Zeit (1516-1918), Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1975, p. 80.

( ١١ ) ولد كريستوف هوفمان في بلدة ليونبرغ Leonberg في الالمانى من كانون الاول عام ١٨١٥م وانتقل مع والده الى كورنفال . وكان يتردد على خاله الهر باوممان Baumann في شتونجارت . واهتم كريستوف منذ صباه بالشعر والتاريخ . ودرس في جامعة توبنجن الفلسفة والتاريخ . واعجب بهيجل وكانت من الفلاسفة الايمان . ولما انهى دراسته الجامعية عام ١٨٣٧ استقل معلما في مدرسة انشأها صديقه عمانوئيل باولوس بالقرب من لوندفيجزبورغ . غير انه لم يقم فيها طويلا واضطر تحت ضغط والده الى العمل في مدارس الكنيسة في فورتبيرغ . وفي عام ١٨٤١ كرس هوفمان نفسه للتعليم في المدرسة التابعة للجمعية التي يرئسها والده .

Brugger, H. : Op. cit., pp. 12-20

Brugger, H. : op. cit, pp. 20-32 ( ١٢

Hoffmann, Christoph : Errinnerungen aus meiner Jugend, Jerusalem, 1881, p. 720.

Carmel, Alex; The German Settlers in Palestine and their Relations with the local Arab Population and the Jewish Community (1868-1918) in "Studies on Palestine during the Ottoman Period, Jerusalem, ( ١٣

1975, p. 442.

Geschichte der deutschen Evangelischen Kirche. pp.132-3

Gaeschichte ..... وسيشار اليه فيما بعد

Alonzo, Alphonse d' : Les Allemands en Orient, Oscar

Schepens, Bruxelles, 1904, p. 37

Brugger, H. : op. cit, pp. 26-7

Carmel, Alex : Geschichte Haifas . . . p. 81

( ١٤ ) ولد جورج دانييل هارديج في الثاني من نيسان عام ١٨١٢ في قرية اغلوزهايم

Egiosheim قرب لودفيجزبورغ في مملكة فورتمبيرغ . اتم دراسته الثانوية وعمل

في التجارة . ثم دخل في منظمة سرية تنادي بالنظام الجمهوري . وتنتقل بين شتوتجارت

وبلجيكا وباريس خلال عامي ١٨٢٠ و ١٨٢١ . وفي باريس تعرف على عدد من اللاجئين

السياسيين الالمان المتحمسين للنظام الجمهوري . وصادق تاجر كتب اسمه فرانك

Frank كان قد اصدر في باريس صحيفة "Le Siècle" . وعاد

فرانك الى فورتمبيرغ في خريف ١٨٢١ . وعزم هارديج على دراسة الطب في جامعة

غوتجن فلم يوفق ، الا كانت السياسة والنضال من اجل الحرية اعز على قلبه من

الدراسة . فشارك في محاولة العصيان الفاشلة في فورتمبيرغ عام ١٨٢٢ ، وحكم عليه

بالسجن لمدة اربعة عشر عاما . ثم استأنف الحكم عليه لدى محكمة الاستئناف في

شتوتجارت فخفضت الحكم عليه بالسجن الى تسعة اعوام . درس هارديج اثناء وجوده

في السجن الكتاب المقدس ، فائر ذلك على سلوكه وفكره . ولما افرج عنه عام ١٨٢٠ لم

يسمح له بالاقامة في فورتمبيرغ فترحل إلى سويسرا حيث بقي حتى عام ١٨٢٤ حينما سمح

له بالعودة الى وطنه بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي لاعتلاء الملك فيلهلم

Wilhelm عرش فورتمبيرغ .

Brugger, H : Op. cit, pp. 5-10.

Brugger, H. : Op. cit, p. 35.

( ١٥ )

( ١٦ ) المصدر نفسه ، ص ٢٥ - ٢٦ .

Carmel, Alwx, The German settlers., p. 443.

Geschichte . . . p. 134

Carmel, Alex, Op. cit, p. 443, Geschichte . . . p. 134.

( ١٧ )

Brugger, H. Op. cit, p. 37.

( ١٨ )

Carmel, Alex : Geschichte Haifas . . . p. 81.

- Brugger, H. : Op. cit, p. 38. ( ١٩  
 ( المصدر نفسه ، ص ٣٩ .  
 ( المصدر نفسه ، ص ٤٢ - ٤٣ .  
 ( المصدر نفسه ، ص ٤٥ - ٤٧ .
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 82.
- Eliav, M. : German Interests and the Jewish Community ( ٢٢  
 in the 19th Century Palestine, in "Studies on Palestine  
 during the Ottoman Period, Jerusalem, 1975" p. 431.
- Brugger, H. : Op. cit, p. 49. ( ٢٤
- Sueddeutsche Warte, 22.1.1869 ( انظر تفاصيل عملية الشراء في مجلة
- Brugger, H. : Op. cit, p. 51. ( ٢٦
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 83. ( ٢٧
- Grothe, Hugo : Bevoelkerung und Wirtschaftliche Lage ( ٢٨  
 der Schwaebischen Ansiedlungen in Palaestina,  
 Palaestina 1.1902,p. 233.
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 84.
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 445. ( ٢٩
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abteilung ( ٣٠  
 VII, Po. 25, Bd. I.
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . pp. 87-9. ( ٣١
- Rosen, F. : Oriental Memoirs of a German Diplomatist, ( ٣٢  
 Methuen and Co., London, 1930, pp. 36-7.
- Brugger, H. : Op. cit, p. 52. ( ٣٣  
 ( المصدر نفسه ، ص ٥٢ - ٥٤ .
- Brugger, H. : Op. cit, p. 61. ( ٣٥
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, ( ٣٦  
 Po 25, Bd. I.
- Brugger, H. : Op. cit., pp. 62-3. ( ٣٧
- Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, ( ٣٨  
 Po 25, Palaestina, Bd. I.

- ( ٢٩  
 Brugger, H. : Op. cit, p. 95. ( ٤٠  
 المصدر نفسه ، ص ٩٤ . ( ٤١  
 Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, ( ٤٢  
 Po. 25, Palaestina  
 تقرير القنصل الألماني في القدس فيليب فورست  
 Ph. Wurst الى سكرتير  
 لجنة التقسيم الفنية الفلسطينية في ١٢ تموز ١٩٢٨ .  
 Geschichte . . . pp. 136 - 7 ( ٤٣  
 ( ٤٤ انشئت جمعية بيت المقدس في برلين في ١٢/٢/١٨٥٢ من اجل دعم المشروعات التبشيرية  
 الانجيلية الالمانية في فلسطين  
 Geschichte . . . , pp. 51-62.  
 Geschichte . . . p. 137, Brugger, H. : Op. cit, p. 66. ( ٤٥  
 Seidel, H. J. : Der Britische Mandatstaat Palaestina im ( ٤٦  
 Rahmen der Weltwirtschaft, Walter de Gruyter,  
 Berlin, 1926, pp. 81-2.  
 Brugger, H. : Op. cit, pp. 85-9. ( ٤٧  
 المصدر نفسه ، ص ٨٨ . ( ٤٨  
 Carmel, A. : The Political Significance of German ( ٤٩  
 Settlement in Palestine (1868-1918), in "Germany and  
 the Middle East 1835-1939 Tel-Aviv University,  
 Tel-Aviv, 1975, pp. 48-9.  
 المصدر نفسه ، ص ٥٠ . ( ٥٠  
 Hauptstaatarhiv Stuttgart, Koeniglich Auswaertiges ( ٥١  
 Amt.  
 Sueddeutsche Warte, 1.7. 1858, p. 2., 22.7. 1858, p. 114, ( ٥٢  
 16.9. 1858, pp. 145-6.  
 Lange, Friedrich : Geschichte des Tempels, Stuttgart,  
 1899, p. 167.  
 Hauptstaatarhiv. Akten des Kabinets IV, Nr. 1585. ( ٥٣  
 Sueddeutsche Warte, 12.2. 1874, pp. 25-6, 26.3.1874, pp. ( ٥٤  
 70-71.

- Brugger, H. : Op. cit, p. 48. ( ٥٥
- ( ٥٦ المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٦٠ .
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 126, ( ٥٧
- Muenchhausen an Bismarck, Jerusalem, den 30 Mai  
1897.
- ( ٥٨ المصدر نفسه .
- Carmel, A. : The Political Significance . . . , p. 54. ( ٥٩
- Brugger, H. : Op. cit, pp. 84-5. ( ٦٠
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 55. ( ٦١
- ( ٦٢ المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
- Sueddeutsche Warte Vom 18 Maerz 1882, p. 4. ( ٦٣
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 57. ( ٦٤
- Brugger, H. Op. cit, p. 90. ( ٦٥
- Carmel, A. : The Political Significance, . . . p. 59. ( ٦٦
- Holborn, H. : Deutschland und die Tuerkei ( 1878-1890), ( ٦٧
- Berlin, 1926, p. 106.
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 189, Vol. I. ( ٦٨
- Brugger, H. : Op. cit, P. 92. ( ٦٩
- ( ٧٠ المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
- ( ٧١ المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 63. ( ٧٢
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Preussen 4 (geheim), ( ٧٣
- Vol. 9, Schlaezer an Hohenlohe, Istambul, 15.11. 1898
- نص تقرير القائم بالاعمال الالمانى في اسطنبول .
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 63. ( ٧٤
- ( ٧٥ المصدر نفسه ، ص ٦٥ - ٦٦ .
- ( ٧٦ المصدر نفسه ، ص ٦٧ - ٦٩ .
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 177, Vol.10. ( ٧٧
- Hurewitz, J. : Diplomacy in the Near and Middle East, ( ٧٨
- Princeton, Vol. 1, pp. 267-276.

- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 175 (e), (٧٩)  
Abteilung I A, Bd. 2.
- Friedman, I. : Germany, Turkey and Zionism (1897-1918), (٨٠)  
Oxford, At the Clarendon Press, 1977, pp. 390-391.
- Sueddeutsche Warte Vom 23.9. 1858, p.125, 14.10.1858, (٨١)  
p. 161.
- (٨٢) جريدة الاهرام ، القاهرة ، عدد ٢٧ حزيران ١٨٩٨ .
- Sueddeutsche Warte Vom 27.4.1914, pp. 133-4. (٨٣)
- Deutsche Kolonial Zeitung, Berlin, 1884, pp. 83-4. (٨٤)
- Sueddeutsche Warte, 27,4.1911, pp. 131-2. (٨٥)
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 448. (٨٦)
- Sueddeutsche Warte, 30.00. 1884, pp. 1-2. (٨٧)
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv. Bd. 25 a Nr, 135. (٨٨)
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p.p. 449-50. (٨٩)
- (٩٠) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ - ٤٥٤ .
- (٩١) المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ .
- (٩٢) هواة صهيون حركة سياسية يهودية استهدفت تنظيم هجرة اليهود من اقطار اوروسيا الشرقية الى فلسطين . وقامت باتشاء المستعمرات اليهودية الاولى في البلاد بين عامي ١٨٨١ و ١٩٠٤ .  
حول هذه الحركة انظر :
- جريس ، صبري . تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، ( ١٨٦١ - ١٩١٧ ) ، مركز الابحاث ،  
منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٠١ - ١٤٢ .
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p.p. 455-8 (٩٣)
- (٩٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦٠ - ٤٦٢ .
- Die Welt, 13.10. 1911, pp. 1083-4 (٩٥)
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 464 (٩٦)